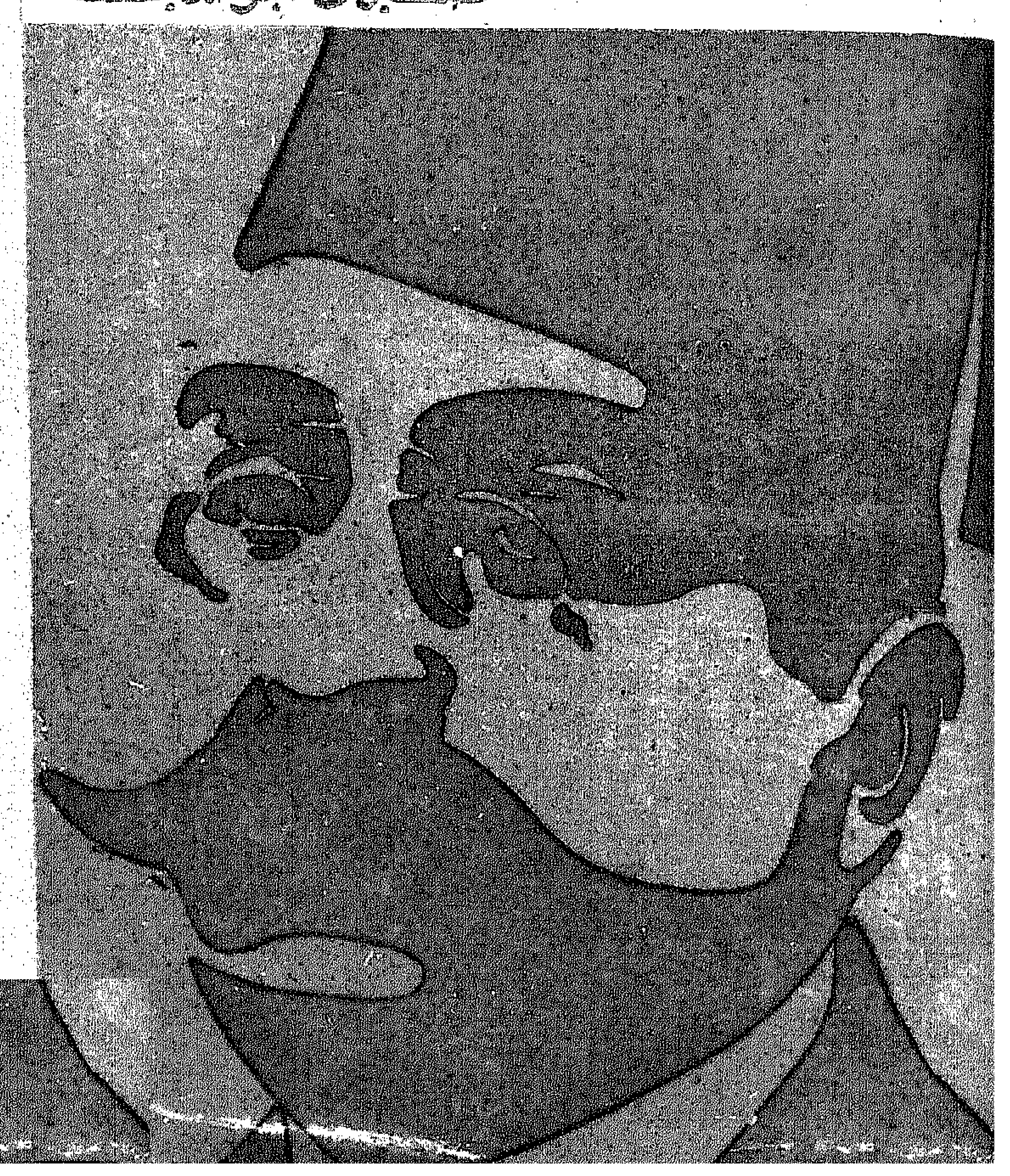
كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

محمد فريد

ذكرياته ومذكراته

صبري أبو المجد



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير : رجاء النقاش

العدد ٢٢٣ رجب ١٣٨٩ أكتوبر ١٩٦٩

No. 223 — Octobre 1969

مركز الادارة

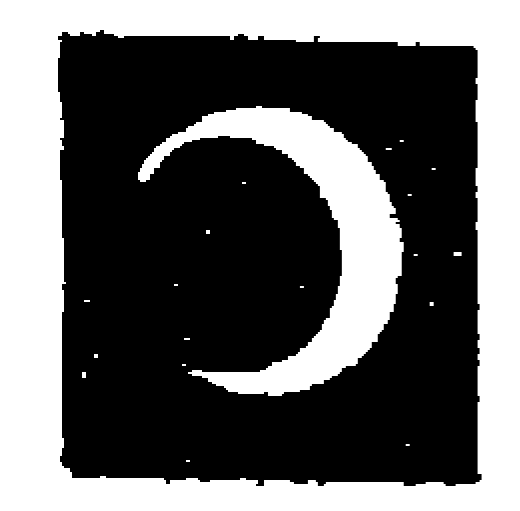
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ — فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات امريكية أو ٤٠ شلنا — والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل للصرف فى (ج٠ع٠م) — والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ..

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشــــــة
الفنان حلمى التـــونى

صبري ابو المجد

محمد فريد

ذكريات ومذكرات

دار الهلال

مقدمة

عندما بدأت العمل بالصحافة ـ وكان ذلك فى عام ١٩٤٨ ـ فكرت فى أن أكتب عن محمد فريد ـ رمز الاخلاص والتضحية ـ من زاوية جديدة وذلك بمناسبة ذكراه فى ١٥ نوفمبر ، وأشار على بعض زملائى بالاتصال بعبد الخالق فريد ـ نجل الفقيد ـ لعلى أجد عنده زاوية جديدة للحديث عن والده ورحت أبحث عن عنوان الرجل الذى فارقه أبوه وهو لم يزل طفلا صغيرا ، الى أن عرفت بعد جهود شاقة انه لضيقه وتبرمه بالاحداث السياسية التى تمر بها بلاده قد هجر العاصمة وانقطعت صلاته بكل من يعرف فيها وآثر الاقامة فى بنى سويف .. وذهبت اليه هناك لأستقبله كما يستقبل الانسان مخلوقا عزيزا لديه ، وليستقبلنى هو بفتور ، وبرود .. لقد ظن الرجل اننى واحد من الصحفيين الذين يبحثون عن الوقائع أو الاحداث المثيرة بين تركات الموتى ، واننى ما قطعت هذه المسافة الطويلة الا لاحصل على نصر صحفى رخيص بسبب ضجة صحفية رخيصة .. ووجدت نفسى ـ مضطرا ـ الى أن اذكره بتلك الحفلات العديدة التى كنا نقيمها ـ كشباب ـ فى المنصورة وفى طنطا وننفق عليها من مصروفنا اليومى الضئيل ، ونتعرض

فيها لهجوم البوليس وضربات هراواته ، لأنه لا يريد لنا ان نحتفل بذكرى محمد فريد .. ووجدتنى ـ على مضض ـ اذكره بتلك الليـــالى الســـوداء ، التى كنا نتسلل فيها ـ كاللصوص ـ الى دار النائب الســـابق محمد محمود جلال ـ اصـدق وأوفى تلاميذ فريد ـ بالدقى ، لنحتفـــل معه رغم الاحكام العرفيـــة ورغم الاحتلال البريطانى بذكرى محمد فريد .. محمد فريد ذلك الزعيم الذى عشـــــقناه وان لم نره ، بل ولم نعش حتى فى زمانه ولم نكن نعرف عنه الا من خلال قصص وروايات سمعناها من بعض الرواة ، وقرأناها فى بعض كتب التاريخ .. وفجأة أحسست بقلب الرجل الـكبير ينفتح لى على مصراعيـــه ويقوم من فوره ليفتح دولابا صـــغيرا ، برفق ، وعناية ، ويخرج لى منـــه بعض الكراســـات والخطابات القـــديمة ويقدمهـــا لى قائلا : « تســـتطيع أن تقـــــرأ هنـــا بعض تاريخ بلـــدك على حقيقته .. »

وغرقت فى القراءة حتى كدت أنسى موعد آخر قطار يربطنى بالعاصـــمة ، وعندما اســـتأذنت ـ كارها ـ فى الانصراف أخـــذ الرجـــل رزمة كبيرة من الخطـــابات والـــكراسات واعطاها لى قائلا : « تستطيع أن تقرأها على مهل »

وعجبت وانا فى عجلة من أمرى لـــكى الحق بالقطار وسألت نفسى فى ذهول ودهشـــــة : « أهكذا يعطينى هذا الرجل بمثل هذه السهولة هذا الكنز التاريخى الذى لا مثيل له ؟ .. »

واحس الرجل ـ لذكائه ـ بما دار فى ذهنى فقال لى وهو يودعنى بحرارة ـ كما استقبلته بحرارة ـ

« انا واثق من انك ستبالغ فى الاحتفاظ بتراث محمد فريد فهو ليس والدى وحدى ، بل هو والدك ووالد كل المواطنين الشرفاء ، فى هذا البلد »

وبالرغم من ضجيج القطار وعجيج الركاب فقد ظلت عباراته تملأ على مسامعى كما ظلت هذه الثروة العظيمة التى هبطت على فجأة تملك على احاسيسى .. لقد عشت فترة طويلة وانا غارق فى هذه الوثائق والمستندات التى أودعنى اياها عبد الخالق فريد والتى ظلت رغم عشرات الايدى ، التى امتدت اليها لاستغلالها او لتحريفها كما هى ، بلا زيادة ولانقصان ، وكنت أعجب لأن كتب التاريخ التى بين أيدينا تختلف تماما عما اقرؤه فى هذه الوثائق والمستندات ، ولقيت عبد الخالق فريد مرة ثانية ، وثالثة ، وكنت أرد اليه بعض ما انتهيت من قراءته ودراسته لآخذ دفعات جديدة واكثر من مرة حاولت نشر بعضها فكان يرفض بكل شدة لأنه مصر على نشرها كلها دفعة واحدة .. واذا كان لا يمكن نشرها كلها ، فلتبق كما هى .. وكنت فى كل مرة أجد نفسى ـ بسرعة وبدون تردد ـ أوافقه على رايه .. ونقل عبد الخالق فريد الى القاهرة واصبحت هذه المستندات والوثائق قريبة منى أقرؤها على مهل .. وأستعيد بعضها عندما تحين لدى فرص الاستمتاع بها ..

وبدات من ذلك التاريخ أمارس هواية البحث عن الوثائق والمستندات الخاصة بتاريخنا القومى منذ عام ١٨٨٢ ، وعثرت على ما لم ينشر من قبل من مخطوطات عرابى ، وعبد العال حلمى ، وعلى فهمى ، ومحمود فهمى .. كما عثرت على خطابات لم تنشر من

قبل لمصطفى كامل ، وعلى فهمى كامل ، وامين الرافعى وغيرهم ، وغيرهم ، ممن لعبوا ادوارا هامة فى تاريخنا القومى ..

وبدات اتصل بالأحياء من قدامى الوطنيين ممن طحنتهم ثوراتنا وانتفاضاتنا القومية ، وسافرت الى الاسكندرية واسيوط وديروط والزقازيق .. و... و.. حيث يقيم بعض هؤلاء واستمعت منهم الى الاسرار التى ظلت حبيسة فى صدورهم كما استمرت منهم بعض الوثائق والمستندات التى حافظوا عليها ـ كعيونهم ـ طوال السنوات الماضية ! !

واذكر أننى فى مطلع ثورة ٢٣ يوليو ، ذهبت الى استاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى ، الذى استطاع ان يصل هذا الجيل عن طريق كتبه الوطنية بالاجيال السابقة أطلب منه أن يعيد النظر فى تاريخنا القومى فقال لى : « لقد كنت فى كل ما كتبت قاضيا والقاضى لا يعيد النظر فى أحكامه ، على أن تلك المهمة ـ مهمة اعادة النظر فى تاريخنا ـ من واجبكم انتم ايها الشباب » ..

ودفعتنى تلك الكلمة الى أن ازيد من جهودى لدراسة تلك المرحلة الهامة من مراحل تطورنا تلك التى بدأت بالثورة العرابية ، وذهبت الى الكثير من المكتبات التى ضمتها القصور الملكية المصادرة ابحث عن الحقائق الضائعة ثم وجدت نفسى فى رحلاتى الصحفية الى بعض البلدان العربية احاول ان اعثر على كل ما يمكن أن يفيدنى فى بحثى.. وراسلت بعض الشخصيات التاريخية المعاصرة فى كثير من البلدان الاوربية لعلى أجد عندهم بعض ما يتصل بهذه الفترة التاريخية من

وثائق ومستندات ..

ثم وجدتني أحبس نفسي شهورا فى خزانات دار الكتب بالقلعة باحثا عن المفاتيح التى تيسر لى فهم ما فى هذه الوثائق من ألغاز وأحاجى ..

وبعد ذلك كله بدأت محاولة لاعادة النظر في تاريخنا السياسي ، وكدت أتراجع فى بداية الامر لاعتقادي أن مثل هذه المهمة لايستطيع فرد مهما كان اخلاصه ومثابرته ، أن يقوم بها وحده .. غير أن الاكتشافات العلمية التى وجدتها فى هذا التراث التاريخى قد شجعتنى وحرضتني على أن أدفع بنتاج ما حصلت عليه الى النور ، لقد اكتشفت ــ مثلا ــ ان محمد فريد فى بداية عهده بالحياة العامة كان مؤرخا من طراز جديد يهتم بالاحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والذهنية ويعطى لكل منها ما تستحق من رعاية وعناية .. ولم يكن يعطى اهتمامه ــ كما كان يفعل الآخرون ــ لتصرفات القادة الكبار بل كان يعطى الكثير من اهتمامه للتطورات والتغييرات والاحداث الشعبية ولن اتهم بالمبالغة اذا ما قلت ان ما تركه محمد فريد من تأريخ للفترة ما بين ١٨٩١ ــ ١٨٩٨ ــ أظلم فترة فى تاريخنا الحديث ــ تعتبر بحق من أهم الاكتشافات العلمية التى تناولت بصدق وعلم وخبرة واتزان وتفصيل هذه الفترة .

ولقد اكتشفت ــ فى نفس الوقت ــ ان مئات الخطابات التى أرسلها محمد فريد الى اصدقائه وزملائه والتى ارسلها اليه هؤلاء الاصدقاء والزملاء وفى مقدمتهم مصطفى كامل ، وعزيز المصرى ، ولطفى السيد ، وعلى الشمسى ، وامين الرافعى ، ومحمود

عزمى ، وعبد الرحمن الرافعى ، ومدام جوليت آدم ، وبيير لوتى ، وروذستين الذى عمـــل سكرتيرا خاصـــا للينين فترة طـــويلة من الوقت ، وغـيرهم وغـيرهم ممن كانت لهم أدوار هامة فى تاريخنا القومى ، قـــد حوت خطاباتهم أخطر وأدق الاسرار .

وعرفت من خلال الوثائق ان خـــلافا حادا وخطيرا قام بين محمـــد فريد ، وعلى فهمى كامل غداة وفاة مصطفى كامل وان الخديو عباس حلمى ورجاله كانوا هم الذين أوجدوا هذا الخلاف فقد أوهموا ـ كما تقول مذكرات محمد فريد ـ على فهمى كامل شقيق مصطفى كامل انه أحق الناس بوراثة أخيـــه فى زعامة الحركة الوطنية وقد بذلوا فى سبيل ذلك جهـــدا كبيرا وأنفقوا أموالا طائلة بغية احداث انشـــقاق خطير فى قيـــادة الحركة الوطنية غير أن وطنية على فهمى كامل وبعد نظر محمد فريد وصلابة رفاق مصطفى كامل ومحمـــد فريد قضت على هذه المؤامرة فلم يكتب لهـــا النجـــاح .

كما عرفت ان خلافا حادا وعنيفا قام بين قيـــادة الحركة الوطنية غداة ســـفر محمد فريد الى منفـــاه حول موقف الحزب الوطنى من الخديو .. أيقترب منه أم يتباعد عنه ؟ .. وان هذا الخلاف قد تفاقم امره بعد سلسلة من المقالات العنيفة التى كتبها محمد فريد ضد الخديو فى صحيفة « لى سييكل » الفرنسية وان فريقا من اللجنة الادارية للحزب قد ارتأى التحقيق مع محمد فريد رئيس الحزب بخصوص هذه المقالات وان على فهمى كامل هو الذى قام بالتحقيـــق وســـؤال محمد فريد ـ كتابة ـ وان محمد فريد قدم استقالته من رئاسة الحزب .

ومن الوثائق التى خلفهـا محمد فريد نعرف كيف كان محمد سعيد باشا يمالىء الحزب الوطنى والحركة الوطنية عندما كان وزيرا فى وزارة بطرس غالى وكان يقدم المساعدات الادبيـة والتسهيـلات الادارية فيما يتعلق باصدار بعض الصحف الوطنية .. فلما اغتيل بطرس غالى بيـد ابراهيم الوردانى وأصبـح محمد سعيد رئيسا للوزارة انقلب وأصبح حربا على الحـركة الوطنية .

ومن هذه الوثائق قصة اللجنـة السرية التى كانت تدير قيادة الحزب الوطنى مع وجود اللجنـة الادارية وهى اللجنة المنتخبـة من أعضـاء الجمعية العمومية للحزب والتى تعتبر - طبقـا لدستور الحزب - هى المسئولة عن كل أعمال الحزب كما اكتشفت القصـة الحقيقية لخروج محمـد فريد من مصر للمرة الاخيرة عقب توالى اضطهاد الحكومة له وسجنها اياه والتحقيق معه بعد خروجه من السجن .. و .. و ..

وقد أوضحت تلك الوثائق حقيقـة الخـلاف الذى قام بين أعضاء اللجنة الادارية عندما أنعم سلطان تركيا على بعض أعضاء هذه اللجنة برتبة البكوية وكيف رفض البعض لأنهم ليسوا هواة رتب وكيف قبل البعض لأن ذلك يغيظ خديو مصر والانجليز باعتبـار أن مصر ما تزال وقتئذ (١٩١٤) جزءا من دولة الخلافة العثمانية .

وأوضحت الوثائق التى خلفهـا محمـد فريد مؤامرة دبرها الخديو لابعاد كثير من الشخصيـات الفنية التى كانت تؤازر بالمال الحزب الوطنى قبل الحرب العالمية الاولى وكيف أغراهم بالالقاب والاموال حتى لقد بيعت - بعد أن امتنع القادرون عن دفع ما هو مطلوب منهم للحـزب -

فى ٢٢ يونية عام ١٩١٣ امتعة نادى الحزب الوطنى وفاء لايجار مبنى الحزب

ونجد فى هذه الوثائق أسرارا لم تذع من قبل حول قضية ابراهيم الوردانى الذى اغتال بطرس غالى باشا رئيس وزراء مصر ، وعرفت أسماء جمعية التضامن الاخوى التى دبرت المؤامرة وعرفت حقيقة المؤامرة التى دبرها الانجليز لاجراء عملية جراحية لبطرس غالى بالرغم من نصح بعض الاطباء بعدم اجرائها خشية وفاته اذ كانت الرصاصات التى أطلقها ابراهيم الوردانى غير كافية للاجهاز على حياة بطرس وكان فى الامكان شفاؤه من هذه الرصاصات لولا العملية الجراحية التى أجراها الطبيب الانجليزى المعالج وذلك لاحداث فتنة بين عنصرى الامة اذا ما مات بطرس غالى .. و .. و ..

وبعض هذه الوثائق التاريخية توضح بجلاء دور شباب مصر الذى كان يتعلم فى أوربا وكان يخصص جانبا من وقته ومن ماله ومن جهده للعمل من أجل قضية مصر ، ولم يكن نشاط هؤلاء الطلاب مقصورا على أوربا بل امتد الى القارة الاسيوية والتحم طلاب مصر بطلاب الهند فى كفاح مشترك ضد الاستعمار البريطانى ، وعرفت الدور الخطير الذى كان يقوم به محمد فريد لتنظيم كفاح هؤلاء الطلبة ومدهم بما يحتاجون اليه بل وتدريبهم ــ كما أكد لى الاستاذ خليل مدكور الذى عمل فترة ما كسكرتير لمحمد فريد فى أوربا وكان هو نفسه واحدا من هؤلاء الطلبة ــ على استخدام السلاح ، ونعلم لأول مرة قصص الجمعيات التى انشأها هؤلاء الطلبة فى باريس

ولندن وادنبره وبرن وجنيف وبون .. و .. و ..
حتى لقد أزعجت هـــذه الجمعيات الاحتلال البريطاني
وحتى لقد نجح هؤلاء الطلبة فى اثارة قضيـــة مصر فى
البرلمان الفرنسى عن طريق مارســـيل كاشـــان زعيم
الحزب الاشتراكى الفرنسى وحتى لقد نجح هؤلاء الطلاب ـ
بقيـادة محمد فريد ـ فى الاتفـــاق مع صحيفة « الديلى
هيرالد » على تخصيص بعض أعمدتها كل يوم لنشر أنبـاء
عن مصر . ونعرف ـ لأول مرة ـ عن طريق المراســلات
المتبادلة بين هؤلاء الشبان ومحمد فريد ـ حقيقة المؤامرات
التى دبرها الخديو والانجليز لشراء هؤلاء الطلبة ..

ونعرف من خلال الوثائق ـ لأول مرة أيضا ـ العلاقة
بين ســـــعد زغلول وبين الحزب الوطنى وكيف أيد
الحزب سعدا فى انتخابات الجمعية التشريعيـــة لأنه
كان يعادى الخديو والسياسة البريطانية وكيف طالب
محمد فريد زملاءه فى مصر بأن يعلن سعد زغلول بنفسه
انضمامه للحزب الوطنى .. و .. و ..

وترد الوثائق التى حصلنا عليها على سؤال طالما طرحه
كثير من الباحثين حول علاقة محمـــد فريد بالحركة
الاشـــتراكية فى أوربا ومدى تأثير هذه الحركة فى تفكير
محمد فريد وتؤكد هذه الوثائق الصلات التى قامت بين
محمد فريد وقادة الحركات الاشتراكية فى أوربا ، كما
تؤكد وجود معارضة ـ داخل الحركة الوطنيـــــة ـ
لاشتراك محمد فريد فى مؤتمر السلام . وتؤكد هـــذه
الوثائق أن اتصـــالا تم بين محمد فريد ولينين حول
القضيـــة المصرية اثر نجاح الثورة الاشتراكية فى روسيا
وزوال الحكم القيصرى ..

ومن الوثائق التى خلفها محمد فريد ـ ومن بينها

خطاباته لأخته وابنه عبد الخالق فريد ــ يتبين بجلاء
اية حياة قاسية كان يعيشها محمد فريد فى أوربا
وخاصة بعد انقطاع المدد الذى كان يرسله
اليه أهله فى أوربا خلال الحرب العالمية الاولى وكيف
كان الرجل الذى يرفض أكبر المناصب ويرفض مئات
الالوف من الجنيهات غير قادر على الحصول على
جنيهات تمكنه من السفر الى بلد حار حرصا على
صحته وتحقيقا لرغبة أبداها أطباؤه .. بل وكيف
كان الرجل الذى سئم حياة القصور بما فيها من
خدم وحشم يتمنى أن ترسل له أسرته فى أيام العيد
بعضا من كعك العيد ! !

واقول ــ دون مبالغة منى ــ ان هذه الوثائق ــ قد
وضعت الكثير من النقط على الحروف فيما يتعلق
بتاريخ كثير من الشخصيات وفى مقدمتها شخصية
محمد فريد ذاته . ونحن بحاجة ماسة الى دراسة
شخصية محمد فريد من جديد باعتبارهذهالشخصية تمثل
حلقة هامة من تاريخ كفاحنا . فمحمد فريد ــ فيما أرى
وأعتقد ــ من الشخصيات النادرة الفذة التى تشرق بها
صفحات التاريخ من جيل الى آخر : ولد محمد فريد ــ
كما يولد أبناء الامراء ــ فى فمه ملعقة من ذهب ، عاش كما
يعيش أبناء الحكام الكبار ، بين القصور العالية المليئة
بالخدم والحشم ، والافكار العتيقة البالية ، لا يعرف ــ
وما ينبغى له أن يعرف ــ شيئا ما عن الشعب أملا ،
والما !.. وتدرج كما يتدرج أبناء الكبراء والحكام
والاقطاعيين الكبار فى الوظائف الصغيرة لتكون تمهيدا
لوظيفة كبيرة تبعده عن الشعب وتقربه من طبقة
الحكام الكبار . غير أن محمد فريد ــ بعد فترة طويلة

من الدراسة والقـــراءة والتأمل اكتشـــف أنه يختلف اختـلافا كبيرا عن غيره من أبنــاء الـكبراء والحكام واذا كانت ظروف حيــاته قد أوجدته بعيدا عن الشعب والاحساس بمشـاعر الشـــعب ، الا أن طبيعة تكوينـه الشخصي والنفسى قد قربتــه تماما من الشعب وآمـال الشعب وآلام الشعب .. وقرر محمـد فريد ـ فيما بينه وبين نفسه ـ أن يغير ظروفــه وحيــاته لأن له دورا يختلف تماما عن أدوار أمثاله من أبنــاء الـكبراء والاقطاعيين .

وبدأ الشاب محمد فريد يهتم بالسياحة وزيارة كثير من البلدان الاخرى لا رغبــة فى الاستمتــاع بالحيــاة فى هـذه البـلدان ولـكن رغبة فى استطـلاع طبـائع أهلهــا وعاداتهم .. زار الجزائر ، وتونس ، ومراكش، وطرابلس الغرب ، والاندلس ، كمــا زار النرويج ، وجنوب فرنسا واشترك فى مؤتمر المستشرقين ، ورأى ان واجبـه تجاه الشعب الذى بدأ يحبه أن يطلعه على حصـيلة ما رآه فى هـذه البلدان فكتب مشــاهداته فى كتيبات وزعها بالمجان ..

ورأى محمد فريد ان كل رجــل يريد أن يخصص حيــاته للعمــل العــام يجب أن يعتمـد على الدراسة والقراءة .. فبــدأ يغرق نفسه فى تلال من الـكتب التى تهتم أيضــا بتـاريخ الشــعوب وعاداتها .. ثم بدأ يدمن قراءة الصحف العربية والفرنسية حتى يكون على بينــة من الاحداث العــالمية التى يمر بها العالم.. ورأى بعــد فترة من الزمن أن حصــيلته فى القراءة والمشاهدة قد بلغت مرحلة تؤهله لـكتابة المقــالات ، فبــدأ يكتب فى صحيفة الآداب التى يصــدرها الشيخ

على يوسف صاحب « المؤيد » .. ثم اشترك فى اصدار صحيفة « الموسوعات » (١٥ نوفمبر عام ١٨٩٨) .. وبدأ يزاول هوايته فى الكتابة الجادة .. كتب عن الانجليز فى غرب افريقية ، وكتب عن : ضياع استقلال هاواى ، وانجلترا فى الترنسفال ، وحرب الترنسفال والروسيا فى آسيا والروسيا فى مملكة كوريا ، والقسم المصرى بمعرض باريس.. و .. و .. وكانت كتاباته — كل كتاباته — تبشر بمستقبل زاهر فى عالم الكتابة ..

وبدأ محمد فريد يزاول مهمة جديدة هى مهمة «جبرتى مصر » فراح منذ عام ١٨٩١ يكتب « يوميات مصر » يتناول فيها كل ما يمر بالبلاد من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية .. ولم تكن هذه اليوميات لتخلو من آرائه السياسية والاقتصادية ، وآرائه فى الاحداث وفى الناس ، وتعتبر هذه اليوميات — كما سبق أن قلنا — وثيقة تاريخية هامة . فقد كان محمد فريد — فى تلك الفترة — منذ عام ١٨٩١ الى عام ١٨٩٧ — قريبا من مركز السلطة يلتقى كل يوم بالوزراء والكبراء ، ورجال القضاء بحيث كانت كتاباته — عن هذه الفترة — تمثل وجهة نظر صادقة فيما يتعلق بهذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر . وربما كانت هذه اليوميات وحدها — موضع دراسة تاريخية مفصلة فى المستقبل نرجو أن نتمكن من القيام بها .

ثم رأى محمد فريد وكيل النائب العام ، أن موظف الحكومة لا يمكن ابدا أن يكون كالماء بلا لون ولا طعم ولا رائحة وان الستار الحديدى المفروض حول كل موظف حتى لا يفكر فيما حوله ، ستار ظالم يجب على كل من

يحترم نفسه أن يحطمه .. ورأى محمد فريد أن الموظف ـ مهما تكن قيود الوظيفة ـ لايمكن أن يعيش بمعزل عن الاحداث التى تجرى حوله .. وخرج محمد فريد على الحدود المرسومة للموظفين وقضى على الستار الحديدى المفروض حوله وبدأ يباشر ـ كانسان وكمواطن ـ مهمته..

وتضايقت الحكومة والاستعمار من ذلك الذى فعله محمد فريد ورأت الحكومة كما رأت القوة الاستعمارية التى تسيطر عليها ، ان ما فعله الشاب القوى محمد فريد خطر على كيان الوظيفة الحكومية فنقلته خارج القاهرة وكان نقله هذا بمثابة عقوبة لأنه أبدى حقيقة مشاعره تجاه قضية الشيخ على يوسف تلك القضية التى أراد الاحتلال من ورائها ارهاب الصحافة الوطنية .. ولقن محمد فريد الاستعمار درسا قاسيا .. لقد استقال من وظيفة وكيل النائب العام ، وكانت هذه الوظيفة من أخطر الوظائف وقتئذ ولم يكن متصورا أبدا أن محمد فريد يمكن أن يجازف بمستقبله ويستقيل من هذه الوظيفة ..

كانت المحاماة كمهنة لم تنظم بعد .. كل من يجد لديه القدرة على الخطابة يستطيع أن يكون محاميا حتى ولو لم يكن يحمل أية شهادة ، وكانت المحاماة قد ورثت عن العهود السابقة تركة مثقلة ، اذ عمل بها كثير من النصابين والافاكين الذين أساءوا الى هذه المهنة اساءة بالغة .. غير أن محمد فريد قرر أن يعمل بالمحاماة ، فوجود بعض العناصر السيئة فى مهنة من المهن ليس مبررا لعدم اقتحام العناصر الطيبة أسوار هذه المهنة .. وكان اشتغال محمد فريد بالمحاماة فى ذلك الوقت يعتبر تضحية من أهم التضحيات ، بل

كان ذلك العمل من محمد فريد يعتبر فى حد ذاته ثورة على التقاليد .. وظل محمد فريد يعمل بالمحاماة طوال سبع سنوات وكان كمن يشق الصخر .. يرفض دائما أن يترافع فى قضية الا اذا كان الحق فى جانب من يترافع عنه ولو كانت أتعابه فى هذه القضية ألوف الجنيهات .. بل كان يرفض الدفاع فى اية قضية ـ كما حدث فى قضية شيكات خاصة بواحدة من الاميرات ـ طالما كان يعلم هو ـ ولو كان هو وحده الذى يعلم ـ ان أساس هذه القضية باطل أو غير سليم ! .. ويسبب له هذا المنهج الفريد فى المحاماة ضيقا وتعبا فآثر التضحية بالمحاماة فى عام ١٩٠٤ ،

« فالمحامى لا يشكر اذا نجح ، ويلام اذا خانه حظه فى القضية » .. ثم هو باعتزاله المحاماة أراد كما قال ، ان يخصص من وقته القدر الكافى لخدمة بلاده وأبناء وطنه خدمة اعم وانفع .. ورأى محمد فريد أن واجبه الوطنى يفرض عليه التفرغ لخدمة القضية الوطنية فعمل مع مصطفى كامل ورفاقه فى بعث الحركة الوطنية . ولم يكن محمد فريد ـ وهو الذى يضحى بجهده وماله من أجل نجاح الحركة الوطنية ـ يريد أن تتسلط حوله الاضواء ، بل كان دائما يعمل فى صمت ويضحى دائما فى صمت ويؤدى ما هو مطلوب منه فى صمت..

والرسائل التى ارسلها مصطفى كامل الى محمد فريد توضح بجلاء دور محمد فريد فى ارساء الاسس السليمة للحركة الوطنية المصرية التى قامت مع مطلع هذا القرن ..

لقد قنع محمد فريد بدور الرجل الثانى فى الحركة الوطنية أثناء حياة مصطفى كامل .. كان مؤمنا بأن

مصطفى كامل رجل تاريخ يؤدى دورا هاما فى خدمة بلده وهذا الدور مرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف المحيطة به ٠٠ وليس معنى الايمـــان بمصطفى كامل والايمان بزعامته أن يغدو مصطفى بعيدا عن النقد ٠٠ المهم أن يكون النقد بناء وأن يكون بعيدا عن الاضرار بكيان الحركة الوطنية ٠٠ وفى مذكرات محمد فريد بعض النقد الذى وجهه الى مصطفى كامل .. ولكن هذا النقد ـ كما جاء فى المذكرات ـ لم يعرفه الخاصة أو العامة لأن مرحلة الـكفاح الوطنى كانت تتطلب السير خلف قيـــادة مصطفى كامل مهما وجه الى هذه القيادة من نقد ..

والقيت اعبـــاء القيـــادة على محمد فريد بعد وفاة مصطفى كامل . وكانت كل الآراء أو غالبيتهـــا تؤكد ان الحركة الوطنية ستنتهى بنهاية الزعامة الشـــابة الموهوبة ـ زعامة مصـــــطفى كامل ـ وكانت مؤامرات الخديو ومؤامرات الانجليز قد بلغت ذروة النشاط عقب وفاة مصطفى كامل .. ولم يكن محمد فريد خطيـــبا مفوها كمصطفى كامل ولم يكن محمد فريد لابتعاده عن الاضـــواء فى حيـــاة مصطفى كامل قد نال من الشهرة فى الداخل والخارج ما نال مصطفى كامل أو بعض ما ناله.

ومضت الايام فاذا بقيادة محمد فريد تصبح أكثر قوة وحزما ووضوحا من قيادة مصطفى كامل . . واذا بالحركة الوطنية تزداد انتشارا ونفوذا ورسوخا فى أيام محمد فريد عنها فى أيام مصطفى كامل . . واذا محمد فريد يقطع نهائيا كل صلة للحركة الوطنيـــة بالخديو ويتجه بكل قوته وايمانه ونشـــاطه وحيويتـــه وثقته الى الشعب ينظم جهوده ونشاطه وقوته تحت راية الحزب الوطنى .. وتبـــدأ الحـــركة النقابية فى الانتشـــار والازدهار .

وتؤدى مدارس الشعب دورها الهام فى خدمة الشعب .. ويصبح ـ بعد عام واحد ـ الشعب كله .. طلابه وعماله وموظفوه ومثقفوه فى المدينة والقرية .. كلهم يعملون فى اطار العمل الموحد .. ويصبح هذا النجاح الذى لم يكن ينتظره أحد ـ أعقد مشكلة تواجه الخديو والاستعمار البريطانى .. ويجرب الخديو والاستعمار كل الوسائل مع القيادة الجديدة دون جدوى .. ولما لم تجد وسائل الترغيب ولا وسائل الوعيد القى الاستعمار محمد فريد فى السجن على أمل أن يغير السجن من موقف محمد فريد ومن صلابته .. وظل محمد فريد فى السجن ستة أشهر يرفض كل عرض قدم اليه للمهادنة .. وخرج من السجن أقوى مما دخله ايمانا واصرارا وعنفا ..

وكان محمد فريد منذ القيت اليه مقاليد الزعامة والحركة الوطنية قد بلور أهداف هذه الحركة فى هدفين رئيسيين هما : الجلاء ، والدستور .. فبدون الجلاء والدستور يصبح أى اصلاح حكومى لا جدوى منه .. وعندما رغب اليه بعض النواب البريطانيين ممن يتظاهرون بالعطف على القضية المصرية فى أن يتنازل عن طلب الجلاء رفض مطلبهم ..
وعندما لامه بعض المصريين ممن يؤمنون بانصاف الحلول متهمين اياه بالعنف أكد لهم بما لا يدع مجالا لأى شك ان عدم مطالبتهم بجلاء القوات البريطانية عن مصر خيانة للوطن .. وكان محمد فريد يؤمن ان التعاون مع المحتلين جريمة لا تغتفر .. ولهذا فقد رفض الحكم اكثر من مرة وعاب على أولئك الذين قبلوا الحكم فى ظل الاحتلال البريطانى ورفض حتى

مجرد التعاون معهم ..

وكان محمد فريد بعيد النظر فى كل المسائل السياسية .. فعندما أراد الاحتلال البريطاني ـ ومن ورائه الحكومة المصرية ـ مد امتياز شركة قناة السويس اربعين عاما جديدة مقابل اربعة ملايين من الجنيهات قاد محمد فريد حملة قوية ضد هذا المشروع .. بل راح ـ وكان هذا غريبا في زمنه ـ « يطالب بعودة ملكية القناة الى الشعب وذلك باسترداد امتياز القناة من الان (عام ١٩١٠) في مقابل تعويض مالى يدفع للشركة مرة واحدة أو مقابل جزء من الارباح كما فعلت الدول التى استردت امتياز سككها الحديدية »

ومحمد فريد هو أول من وجه القضية المصرية الوطنية وجهة سليمة فربط بين القضية المصرية وبين قضية السلام العالمى .. ونادى بحياد مصر « ونحن لا نجهر بهذا النداء اعتمادا على المبادىء الحرة فحسب ولكننا نعتمد من جهة أخرى على مصلحة السلام العام ، وبقاء تجارة العالم وضمان النقل فى قناة السويس .. فان هذه أمور تتطلب حرية مصر واستقلال وادى النيل » ..

ومحمدفريد عندما نادى بالحكم الدستورى اشترط ان تضع أحكامه جمعية منتخبة من الامة . وكثير من آراء محمد فريد وأفكاره التى نادى بها منذ ما يقرب من نصف قرن تعتبر اليوم من الآراء التقدمية التى تدل على ما كان يتمتع به محمد فريد من تفكير سياسى ناضج متحرر ..

لقد كان محمد فريد ـ أخيرا وليس آخرا ـ أحد

ابناء مصر الذين قادوا الكفاح الوطنى فى أصعب أيامه وأحلكها ، قاده بصبر وجلد وكفاءة وايمان وتضحية فذة واخلاص لا مثيل له واذا كان حظ مصر السيء قد حرمها من قيادته الفعلية بعد أن غادر مصر عندما وضعت الحكومة المصرية ومن ورائها الاحتلال خطة للالقاء به فى السجن كلما خرج منه . وهذا ما نأخذه عليه ، فمكان المناضل فى راينا مهما تكن ظروف المعركة شاقة ومريرة فى أرض المعركة أفضل الف مرة من نضاله خارجها .. أقول اذا كان حظ مصر التعس قد حرم مصر – فى فترة حرجة من مراحل تطورها – من قيادة محمد فريد فى الداخل – فقد ظل الرجل – خارج مصر – نجما وطنيا ساطعا تلتقى حوله ارادة الالوف من شبابنا وشيوخنا فى الخارج ، كما كان منارة عالمية ترفع اسم مصر فى كل مؤتمر عالمى وكل منتدى دولى .. ان شعبنا وهو يجتاز هذه المرحلة الشاقة من مراحل كفاحه ونضاله فى امس الحاجة الى دراسة تاريخ محمد فريد من جديد بحاجة الى دراسة تاريخ الزعيم الذى انفق ماله وشبابه ، بل وحياته فى سبيل قضية الحرية .. ان محمدفريد كان مكافحا من طراز فريد ، لم يقف فى منتصف الطريق ، لم تستهوه المنافع الشخصية ولا الاعراض الذاتية ولم يقعده الجوع والمرض والنفى عن التضحية فى سبيل بلده بأعز ما يملك ..

واذا كان هذا البحث يصدر فى مناسبة مرور خمسين عاما على وفاة محمد فريد (١٥ نوفمبر ١٩١٩ – ١٥ نوفمبر سنة ١٩٦٩) فاننا نرجو أن تتلوه أبحاث أخرى جديدة تلقى الاضواء على كثير من شخصياتنا التاريخية

التى لعبت ـ فى تاريخنا المعاصر ـ ادوارا هامة ولم تنل حقها من البحث والدراسة

ولا بد من كلمة طيبــة نوجههـا لذلك الابن البــار بابيه الذى حرم من رؤيته وهو طفــل ، والذى ظــل وفيا لوالده وتراثه ، وللقضيــة التى دافع عنهـا .. كلمة شكر نوجهها للمستشار عبد الخالق فريد الذى حفظ لنا ـ رغم الـكثير من المصاعب والمغريات ـ ذلك التراث التاريخى الذى سيبقى الى فترة طويلة ضوءا كشافا ينير الطريق أمام المؤرخين الباحثين عن الحقيقة

والله ولى التوفيق ..

القاهرة فى يوليه ١٩٦٩

صبرى أبو المجد

بداية حياة

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، وأصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تكد تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب » .

« الميثاق »

تعتبر الايام التى نشأ فيها محمد فريد وقضى فيها طفولته وصباه من أقسى الايام التى مرت بمصر فقد استهدف الاحتلال البريطانى القضاء على كل امكانيات الشعب ، بل القضاء على كل معنويات الشعب كمقدمة للقضاء على روح الشعب ولكى نوضح كل مايتعلق بالبيئة التى نشأ فيها محمد فريد نقول ان :

ـ الجد الاعلى لمحمد فريد ـ عثمان أفندى ـ جاء الى مصر عقب الغزو العثمانى ايام سليم الاول ، وكانت وظيفته كتابة العملة وكانت هذه الوظيفة من أرفع وظائف الدولة ، أما أحمد فريد ـ والد محمد فريد ـ فمن مواليد مصر عام ١٨٣٦ ، وقد تعلم بمدارس الحكومة وانهى دراسته فى المدرسة الحربية وكانت أول وظيفة تولاها هى ناظر قلم التحريرات بمصلحة السكك الحديدية براتب قدره خمسة وعشرون جنيها وقد ظل يتدرج من وظيفة الى أخرى الى ان أصبح

وكيل عموم مصلحة السكك الحديدية .. فلما آلت هذه المصلحة الى الادارة الانجليزية فى أواخر ايام اسماعيل وعين الجنرال ماريوت الانجليزى مديرا عاما للمصلحة استغنى عن خدمات أحمد فريد ، وفيما بعد عين أحمد فريد عضوا بمجلس الاحكام ، فمديرا للشرقية فمحافظا لدمياط فمديرا للقليوبية فالشرقية مرة اخرى واصبح فى عام ١٨٨٦ ناظرا للدائرة السنية ـ وتبلغ مساحة الدائرة السنية والدومين مليون فدان ، اى نحو خمس اراضى مصر المنزرعة .. وكانت مثقلة بالديون التى وصلت فيما يتعلق بالدائرة السنية وحـــدها الى ٨٫٨١٥٫٤٣٥ جنيها انجليزيا ، أى ما يعادل ميزانية الحكومة المصرية وقتئذ فى عام كامل ـ وكان راتبه كناظر للدائرة السنية ١٢٥ جنيها .. وقد استغنى عن خدماته لأنه عارض بيع أملاك الدائرة الســـــنية الى شركة أجنبيـــة ..

واذا كان والد محمد فريد من أسرة قدمت من تركيا منذ مئات السنين فقد كانت والدته من أسرة مصرية عربية صميمة تتصل بالنسب الى الحسين بن على ، رضى الله عنهما . وكان والدها عميد التجار المستوردين للبهار ، ولا شك ان الموظف الحكومى النزيه المخلص ، الذى دخل السلك الحكومى من اول السلم والأم العربية المحافظة ، كريمة ابراهيم أفندى قاضى البهار ، قد اثرا تأثيرا كبيرا فى تكوين شخصية محمد فريد ، كما أثرت فيه ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية التى لازمته فى بداية حياته .. لقد ولد عام ١٨٦٨ فشهدت طفولته أحداث الثورة العرابية الاولى كما استطاع أن يشهد وهو فى الرابعة عشرة النكبة التى حلت بالبلاد اثر هزيمة الثورة فى ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٢ ، فرأى بعينى

راسه طوابير القوات البريطانية وهى تجتاز شوارع العاصمة ، كما رأى المناظر المخزية التى تجلت فى الهدايا التى قدمها خديو مصر ـ توفيق باشا ـ وكبراء البلاد الى كبار الضباط البريطانيين شاكرين لهم « احتلال بلادهم » وقد سمع من والده ، ومن كبار الضيوف الذين يزورونه الكثير عن المآسى التى حدثت فى مجالس التحقيق حيث تنكر للثورة العرابية ، أولئك الذين أيدوها ـ حتى ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٢ ـ تأييدا مطلقا

وتعلم محمد فريد كما تعلم والده من قبل فى مدارس الحكومة ، وعندما نال فى التاسعة عشرة من عمره شهادة مدرسة الادارة فى عام ١٨٨٧ كانت أحوال البلاد قد زادت سوءا بسبب الاحتلال البريطانى الذى بذل كل الجهود لتحويل مصر الى مستعمرة بريطانية ، ومع ذلك وطبقا لتأثير البيئة سلك محمد فريد نفس الطريق الذى سلكه والده من قبله ، طريق الوظيفة الحكومية ، وكما بدأ والده من اول السلم ، بدأ هو الآخر ، لقد عين فى ٢١ مايو عام ١٨٨٧ فى وظيفة مترجم بقلم قضايا الدائرة السنية بمرتب قدره عشرة جنيهات شهرية ، وفى يونيو عام ١٨٨٨ تزوج محمد فريد ، وكانت أفراح زفافه من الافراح التى لم تر مصر مثيلا لها الا أفراح أنجال الخديو ...

وظل محمد فريد يتدرج فى الوظائف الحكومية كما تدرج والده من قبل ـ فى هدوء وبطء ... فمن مترجم الى وكيل قلم ، الى رئيس قلم ، الى أن عين فى عام ١٨٩١ فى وظيفة مساعد نيابة بمرتب قدره ستة عشر جنيها ، وفى السلك القضائى تدرج الى أن أصبح وكيلا لنيابة الاستئناف ...

ولم يشأ محمد فريد أن يسير فى الخط الذى سار فيه رفاقه وزملاؤه ـ خط الموظف الحكومى الذى رسمه الاحتلال البريطانى ـ بل آثر ان يشذ عن هذا الخط فبدأ يدرس ، ويقرأ ، ويترجم ، ويكتب فى مجلة « الآداب » التى كان يصدرها فى عام ١٨٨٧ وعام ١٨٨٨ الشيخ على يوسف ، الذى أصدر « المؤيد » فيما بعد ، ولم يكن محمد فريد يوقع مقالاته باسمه الصريح بل بالحرفين الاولين من اسمه « م . ف » لا خوفا من بطش قوات الاحتلال التى كانت تعتبر كل من يكتب فى الصحف الوطنية عدوا يجب محاربته ، بل خشية ان يغضب منه والده الذى كان يخشى بدوره على ابنه من بطش قوات الاحتلال ...

ولم يكتف محمد فريد بالكتابة فى الصحف الوطنية بل قام برحلات عديدة ـ كعضو فى الجمعية الجغرافية ـ الى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والاندلس ، وكان يكتب عن هذه الرحلات كتبا يوزعها بالمجان تعميما للفائدة ، وقد أصدر فى هذه الفترة كتابا عن تاريخ الرومان ، وكتابا عن تاريخ الدولة العثمانية ، وفى عام ١٨٩٦ استقال من القضاء ليشتغل بالمحاماة ، وكان هو أول من اشتغل فى هذه المهنة من أبناء الكبراء

يقول الاستاذ احمد لطفى السيد فى قصة حياته :

ـ كنت مع الشيخ محمد عبده فى جنيف ، وذهبنا لزيارة محمد ثابت باشا الذى كان « مهردارا » للخديو اسماعيل ـ اى حامل اختام الخديو ـ وهو يساوى رئيس الديوان ـ وكان معه أثناء الزيارة احمد فريد باشا ـ والد محمد فريد ـ وكان احمد فريد باشا ناظرا للدائرة السنية ومن كبراء مصر

المعدودين ، فلما استقر بنـا المقام ، اخذ فريد باشـا يشكو ابنه الى الشيخ محمد عبده ويبكى ، وكان وقتئذ مريضا ، ويقول للشيخ : « هل يصح ياسيدى الاستاذ أن يهزئنى محمد فريد فى آخر الزمن ويفتح مكتب أفوكاتو « محام » ؟ ..

فلما سمع الشيخ محمد عبده شكوى احمد فريد باشا لاشتغال ابنه بالمحاماة ، أخـذ يهدىء من نفسه ويعرب له انه يخالفه فى رأيه ، ويرى ان الاشتغال بالمحاماة ليس فيه ما يجرح الكرامة وما يخـل بالشرف على نحو ما يظن الناس ، وما كان مألوفا فى فهمهم لهذه المهنة فى ذلك الزمان ...

ويمكننا القول ــ دون مبالغة ــ وبالنظر الى مقاييس الامور فى الاعوام التى اعقبت الاحتـلال الانجليزى ان استقالة محمد فريد من وظيفتـه الحكومية المرموقة واشتغاله بالمحاماة ، وهى التى لم تكن قد نظمت بعد اذ كان فى استطاعة اى شخص ما اذا آنس فى لسـانه الطلاقة أو « السلاطة » أن يشتغل بالمحـاماة ، التى كانت وقتئذ مليئـة بالعناصر الفاسدة ، ان اسـتقالة محمد فريد كانت ثورة على الاحتلال ممثلا فى الحكومة التى رمى محمد فريد اسـتقالته فى وجهها ، وكانت ثورة على التقاليد التى كانت ممثلة فى والده ، الذى كان يبكى ــ كما يقول الاستاذ لطفى السيد ــ لان ابنه عمل فى المحاماة !

ونحن على ضـوء الظروف التى كانت تكتنف البلاد وقتئذ ــ فى مجال تقييم العمل الذى أقدم عليه محمد فريد ــ نقول أن اسـتقالة محمد فريد واشـتغاله بالمحاماة يعتبر عملا ثوريا بناء لم يستهدف صاحبه من ورائه سوى اعطاء مثل عال للموظفين ــ كبارا وصغارا ــ

هؤلاء الموظفين الذين تعودوا أن يلعقوا كل يوم ، وكل ساعة احذية المستشارين البريطانيين ، واعطاء مثل آخر مشرق للشباب وقد ران اليأس والقنوط والاذعان على قلوبهم ، فظنوا ان الاحتلال باق ، وان الثورة عليه عمل لا يمكن تصوره ...

ولعل خير وصف لذلك العمل الذى أقدم عليه محمد فريد هو الخطاب الذى أرسله اليه الاستاذ محمود ابو النصر - احد اقطاب المحاماة فى مصر فى ذلك الحين - والذى يصور تقدير الناس للموقف المشرف الذى وقفه محمد فريد ... قال أبو النصر فى خطابه الذى كتبه من باريس فى ٢ ديسمبر عام ١٨٩٦ :

- هاج بالى واضطرب خاطرى ، اذ علمت بما قابلك به الاحتلال جزاء اخلاصك للوطن وتظاهرك بنصرة الحق دون أن تخشى لومة لائم ولا سطوة حاكم ، غير انى ما لبثت الا ريثما رأيت الامر طبيعيا واذعنت بأن لا وجه للتهييج ولا معنى للعجب... أليسوا باضطهادهم لمثلك عاملين بما تقضى به عليهم خدمة قومهم وبلادهم التى يفتدونها بالنفس والنفيس ... بل وما الذى كنت تنتظر غير ما قوبلت به وقد عرف الخاص والعام شرف احساسك ونبل قصدك واخلاصك ... وشهد القريب والبعيد بفضلك وشمم نفسك حتى أنزلك منزلة تغبط عليها من بين أبناء الوطن عامة وأبناء الذوات خاصة ، وحياتك انه لاقل مما كنت أنتظره لك من يوم رأيتك وعرفتك ..

اللهم ان كانت سعادة الحياة فى مثل ذلك الراتب الذى كنت تأخذه على شرط اماتة عاطفة شريفة فلا كانت الحياة ... اللهم ان كنت تربيت ونشأت فى مهد

الـكمالات الانسانية لمثل تلك الخدمة فلا كانت التربية ... اللهم ان كان كبر عليك اضطهادهم وشـق عليك بقيهم فانك لست عندنا بفريد ، أن كانت هذه الحياة منحصرة فى سـعة الرزق ، فمن الذى مات جوعا ؟ .. والحمد لله لست الى هذا الحد . وان كانت منحصرة فى رفعة المنزلة ، فهو مطلب قد بلغته من منزلتك الاولى ، ومثلى من المحبين الصادقين كثير فاصبر ودم كما كنت فريدا »

وقد علقت صحيفة «المؤيد» ـ١٧ يوليو عام ١٨٩٧ـ على اشتغال محمد فريد بالمحاماة بقولها :

ـ قد اتخذ حضرة العالم القانونى محمد بك فريد المحامى أمام محكمة الاستئناف والمحاكم الاهلية محلا لاشـتغال المحاماة فى ملك المرحوم ثاقب باشـا أمام الاجزخانة الطليانية بشـارع محمد على وما نعهده فى كفاءة حضرة الفاضل وسعة علمه وقوة حجته سيكون خير كفيل لنجاحه فى مهنتـه الجديدة فيخدم بذلك وطنه ويخدم الحقوق الشخصية والعمومية أجل خدمة ويكون لحضرات الفضلاء من ابناء كبراء مصر منه خير مودة وأشرف مثال » ...

والجدير بالذكر أن محمد فريد قد اعتزل العمـل بالمحاماة فى ٨ مايو عام ١٩٠٥ وكتب فى « اللواء » مبررا تركه المحاماة بقوله :

« تركت الاشـتغال بمهنة المحاماة لاتفرغ لاشـغالى الخاصة بدل أن اهملتها واشتغلت بمهام الغير فلا ارى غالبا الا نكران الجميل أو عدم الاعتـراف بما يتحمله المحامى من المشاق فلا يشكر اذا نجح ، ويلام اذا خانه حظه فى القضيـة ... وأردت أن أخصص من وقتى المقدار الكافى لخدمة بلادى وأبناء وطنى خدمة أعم وانفع »

سبع سنوات عجاف

في المذكرات ، أو اليوميات ، التي خلفهـــــا محمد فريد ، تصوير صادق وصريح للأحداث التي وقعت في الفترة ما بين عامي ١٨٩١ ، ١٨٩٧ ....

واذا كان محمد فريد عنـدما بدأ في كتابة هـــذه المذكرات او اليوميـــات لم يكن قـــد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، واذا كان محمـــد فريد نتيجة للحياة الارستقراطية التي كان يحيـــاها لم يكن وعيه السياسي قد نضج تماما ، الا ان ســـمات الصـــدق والصراحة قد تجلت واضـــحة في هـــذه المذكرات او اليوميات من السطر الاول الى السطر الاخير ...

وكان محمـــد فريد ، والمذكرات او اليوميـــات لم تطبع ، ولم يرها أحد غيره ، قـــادرا على محـــو ما جاء بمذكراته من آراء استهجنها فيما بعد غير أنه آثر الابقاء عليها لتكون صورة صادقة للرأى العام ، بصورة عامة ولرأيه هو في هذه الفترة بالذات ، بصورة خاصة ...

وكلمة اخرى لا بد من الاشـــارة اليها قبل ان ندخل في المذكرات او اليوميات ، وهي أنني آثرت ان ارفع بعض الاسماء في بعض الحالات التي بالغ محمد فريد في القسوة على أصحابها ، لا رعاية لهذه الشخصيات وانما رعاية لأولادهم ، واحفـــادهم ، وذلك فقط في

الحالات التى كان محمد فريد ينتقـــد أصحابها فيما يتعلق بسلوكهم الشخصى ، كما اننىعمدت الى الاقتصار فيما نقلته من هذه اليوميات على بعض الاحداث مع الابقاء على لغة المذكرات دون تبديل أو تغيير (١)

قال محمد فريد فى مذكراته عن عام ١٨٩١ :

ـ ابتدأ هذا العام وخديو مصر محمد توفيق الاول ، ووزيره الاول مصطفى رياض باشا ، وهو أيضـا ناظر الداخلية ، والمـــالية ، ومصطفى فهمى باشـــا ناظر الحربية ، لـكنه ناظر اسما ...

اما الاشغال فكانت بيد السردار السير جرانفيل باشا الانجليزى ، وهو بمثابة قائد عام للجيوش المصرية ، وانما أبقى النــاظر وطنيا مراعاة للظواهر ، ليس الا ، وكذلك فى نظارة الاشــغال العموميــة ، فان ناظرها الاسمى محمد زكى باشا ، الذى لا يعرف من الهندسة ولا اسمها شيئا ، فان أشغال تلك النظارة فى قبضـة وكيلها الانجليزى السير أسكوت منكريف ومن أتى معه من بلاد الهند من مهنـــدسى الرى ... أما نظـــارة الخارجية فناظرها ذو الفقار باشا ، وهو رومى الاصل وكيله تجران باشا الارمنى ولا أهمية لهذه النظارة لان المخابرات الخارجية تجرى راســا بين رئيس مجلس النظار ووزير انجلترا ، ونظارة الخارجية لبريطانيـــا التى نحن تابعون لها فعلا ان لم يكن رسميا ...

وناظر المعارف العالم الشهير على مبارك باشا الوطنى الاصل والنزعة ولم يكن للانجليز يد فى نظـــارته حتى العام الماضى ، حيث تعين فيهـــا مفتش انجليزى عام

(١) حرصنا على الاحتفاظ بالنص كما هو رغبـة منـا فى اعطـــاء نموذج للغـــة العصر الى جانب الاحتفاظ بأهمية النص التاريخى

لا يبعد أن يعين وكيلا لها ، وبذلك ابتـــدأت اللغـــة الإنجليزية في الانتشار في المدارس الاميرية ، لكن لا يهمنا أن يتعلم الاولاد اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، فكلتاهما أجنبيتين ... والمهم بالنسبة الينا هو انتشار المعرفة بين الشـبان فيعرفون حقوقهم بواسطة الجرائد حيث يطلعون على الاحوال الحاضرة فيكون بذلك رأى عام تخشـــــاه الحكومة ...

اما نظارة الحقانية فناظرها فخري باشـــا وهو من الشبان المصريين الذين تربوا فى أوربا ودرسوا فيها علم الحقوق ، ولـكن لم تسلم نظارته من التدخل الانجليزى بل عينوا له مستشارا يدعى المستر سـكوت ليدرس احوال القطر المصرى ، ويرى ما يناســبه من النظم الحقوقية كأن لم يكن فى البـلاد من يعرف احتياجاتها لكن لا يسع الحكومة الا الاذعان لطلبات الانجليـــز الذين يسعون دائما فى نسبة كل اصلاح لهم ، كى يستميلوا الاهالى اليهم ويحببونهم فيهم ، مع ان ذلك بعيـــد جدا ، لاسيما والوحدة الجنسية آخذة فى النمو بين الافراد وكذلك الشـــعائر الوطنية فى ازدياد يوما بعد يوم ، حتى لم يعد المصرى يأنف من كونه مصريا وينتحل له جنسية أخرى ، كأن يدعى انه تركى مثلا ... وعلى أي حال فلو كان الاصلاح حاصلا من آنجليزى أو فرنسى او غيره ، فنتيجته عائدة على الوطن المصرى ، حتى اذا نشأ جيل جديد ونسيت المظالم ، وتربت روح الحرية فى العرق كمـــا هو مشـــاهد الآن كان من وراء ذلك مطالبة الامة بحقوقها بالطرق القانونيـــة وربما بذلك حصلت على استقلالها السياسى فى زمن ليس ببعيد...

والحالة المـالية آخذة فى التقـدم ، لاسيما تلقـاء

ما تقدم من اداء فوائد الديون التى تركها على عاتقنا سيء الذكر ، وخامل الاسم اسماعيل باشـــا الخـديو السابق وصرفها فى أنواع الاسراف والنزهة ، وارتكاب المحرمات بكل أنواعها ، حتى كان يعطى « الموسة » ما يزيد عن أربعين ألف جنيه ، وبذلك انتشر الفسق بين الطبقات العليا ، من ذوات البلد حتى صـارت «الدياثة» من أكبر وسائل التقرب من جنابه ... فالله در من بيدهم أمورنا المـالية ان قاموا بالوفاء بفوائد تلك الديون وتنظيم الادارة وتأسيس المدارس ، والغـاء العوائد التي كانت من أكبر الضرائب ، والمصـائب على الفلاح ، وترك كثير من العوائد والمـكوس «كالفرود» (١) وعوائد القبانة ، وتخفيض أجور التليفونات ٥٠ ٪ ، وجعل اجر الـكلمة عشرة فضة صاغ ، وتنزيل رسوم البوستة الى عشرين فضة عن الخطاب داخل القطر ، والى ثلاثة مليمات عن تذاكر البوستة ، وهاك بيـــان ما رفع عن عاتق الاهالى من الضرائب في هـــذا العـام والعام الماضى نقلا عما جاء فى المذكرة المرفوعة من اللجنة المـالية الى رئاسة مجلس النظار ملحقـة بالجريدة الرسمية الصادرة فى ٢٩ ديسمبر عام ١٨٩٠ : « يكون ما صار دفعه عن عام ١٨٩٠ ما قيمته ٥٣,٠٠٠ جنيه مصرى ، وبيـانه الغاء عوائد الاغنام والمـاعز أربعين الف جنيه ، والغاء عوائد الدخل عن الزيوت والبذرة الزيتية ، ثلاثة آلاف جنيه ، وتخفيض أجورالتليفونات تسعة آلاف جنيه ، وتخفيض أجـور تذاكـر البوسـتة الف جنيه ، ومجموع الايرادات والتقديرات عن عام ١٨٩١ تسعة ملايين وثمانمائة وعشرين الف جنيـه ،

---

(١) جمع « فردة » ـ اصطلاح عامى ـ معناها يؤخذ على كل فرد وهو معنى دارج « المؤلف »

والمصروفات تسعة ملايين وثلاثمائة وعشرين الف جنيه اى ان زيادة الايرادات عن المصروفات تبلغ نصف مليون جنيه ، منها ثلاثمائة واثنا عشر ألف جنيه عن الوفر الحاصل من تنزيل فائدة الدين الممتاز — من ٥ ٪ الى ٣ ٪ — ودين الدائرة السنية من خمسة الى اربعة فى المائة ، والباقى من الاقتصاد فى المصروفات ومن الاصلاحات التى عملت فى بدء هذا العام زيادة ثمانية آلاف وخمسمائة جنيه فى نظارة المعارف عدا الفين من الجنيهات للكتاتيب ، وألف وخمسمائة من الجنيهات لتعليم المدرسين اللازمين لهذه المدارس

أما ما وجدته ظلما على الاهالى فى هذه الميزانية فهو ما تدفعه الحكومة فائدة لأسهم قناة السويس البالغ قدرها ١٧٧٦٤٣ من الجنيهات التى باعها اسماعيل باشا الى الحكومة الانجليزية بعد أن باع فائدتها مقدما لمدة آخرها عام ١٨٩٤ ، وهو مبلغ ١٩٥ الف من الجنيهات ، وهذا أيضا من آثار اسماعيل باشا التى تخلد له فى قلوب المصريين من الكراهية ، ما لا يمحوه الدهر ومرور الزمان ، وكذلك ما يدفع للخديو وعائلته ، وهو مبلغ ٢٦٨ الفا من الجنيهات وكسور ، نعم ان هذا المبلغ كثير فى حد ذاته الا انه قليل فى جانب ما كان يأخذه والده الذى كان يصرف مال الدولة سنويا فيما لا خير فيه ، ويستدين ما قيمته عشر مرات ، ولم يوجد التحسين المالى الا منذ تولى ادارتها أكفأ الرجال ، خاصة لما تولى زمامها الرجل الوطنى رياض باشا ، لكن بعضهم ينسب ذلك التحسن الى من كان يشرف على النظارة من الانجليز

لكن ذلك التحسين لم يظهر ولم توجد الزيادة فى

الميزانية الا منذ تولى رياض باشا الوزارة وخاصة لم يسمع باسم مصر قبل الآن « ان الحكومة تنازلت عن بعض الضرائب ، بل والضرائب دائما فى ازدياد ... ناهيك عما يرتكبه الحكام من طرق التحصيل ، مما يطول شرحه ... »

● ومن تقرير مرفوع الى الحضرة الخديوية من سعادة ناظر المعارف ، عن أعمال اللجنة المستديمة لطالبى الاستخدام بمصالح الحكومة ، انه قد تعين فى بحر العام الاول من تشكيل هذه اللجنة ٢٨٤ شخصا ممن قبلوا فى امتحانات تلك اللجنة ، ولنبين للقراء أصل تأسيس اللجنة المذكورة والغاية منها ، وهى انه لما جبل رؤساء المصالح على مراعاة الخواطر والمحسوبية فى تعيين المستخدمين ، وكان لا يتعين فى مصالح الحكومة الا من ليس أهلا لها مع وجود الشبان الاكفاء من المصريين المتخرجين من المدارس ، وحازوا فيها قصب السبق لعدم وجود من يساعدهم على نيل تلك الوظائف فقد ارتأت الحكومة منعا لهذا الضرر الذى يعود على الهيئة الادارية بعدم الانتظام لتولية الوظائف لغير مستحقيها تشكيل لجنة من بعض مستخدمى نظارات الحكومة تحت رياسة ناظر الحقانية لامتحان كل من يريد الدخول فى الوظائف الاميرية تسهيلا لسبل السعادة لمن جد من الشبان المصريين وحتى لا يعين فى الوظائف الا من استحقها تنشيطا لهم وتشويقا لغيرهم ، فقرر مجلس النظار فى ١٩ شوال عام ١٣٠٦ — ١٣ يونية عام ١٨٨٩ — لائحة تعيين المستخدمين وترقيتهم وجارى العمل بمقتضاها الآن ... نعم ان بعض رؤساء المصالح لا يتبعون أحكامها أحيانا اتباعا

لاهوائهم ، الا ان بعض الضرر اخـف من بعض ولولا هـذه اللجنة لمـا استخدم من تعين بموجبها ، بل عين بدلهم ممن له محسوبية على أحد الوجهاء ، أو استعمل احدى طرق الدناءة للتقرب منه ... هذا وقد صدر الامر العالى مؤرخا من بندر قنا أثناء سياحة الجناب العالى الخديو بتعيين محمود رياض بك ابن رياض باشا ناظر النظار مديرا لاسيوط بدلا من احمد شكرى باشا الذى عين محافظا للقاهرة ... أما البيك المومأ(١) اليه فتربى فى باريس واقتبس من عادات الافرنج وهى المقامرة على ما قيل الا انه شاب نشيط يحب العمل بعيدا عن طباع الاتراك أو الشراكسة من المديرين محب للعدل والمساواة ... وكانت ترقيته بسرعة غريبة فى أثناء وزارة أبيه ، فنقل من وظيفته بالداخلية وهى رئاسة قلم المطبوعات الى مديرية بنى سويف ، ثم الى المنيا ، فأسيوط ، فى مسافة لا تزيد عن ثمانية عشر شهرا .. نعم ان هذا الترقى قابل للاعتراض والانتقاد ، الا ان حضرته احق بكثير من غيره من الذين نالوا الوظائف بدون استحقاق ...

● من أهم ما يتذاكر به الناس وتلفظ به الجرائد ، تقرير المستر سكوت الذى قدمه اثر سياحته فى الوجه القبلى للتفتيش على المحاكم .. هذا التقرير لم ينشر فى الجرائد الرسمية ... الا ان الجرائد نشرت طرفا منه ، ومما ظهر من خلال ما نشر منه أن جناب المستشار الانجليزى يرغب فى ازدياد النفوذ الانجليزى فى المحاكم بتعيين مفتش عام للمحاكم ، ويكون انجليزيا وبعض قضاة انجليز فى محكمة الاستئناف .. والظاهر

(١) هكذا فى الاصل

ان رياض باشا عارض فى ذلك أشد المعارضة ... حتى ان جريدة « المقطم » المضدة من الاحتلال الانجليزى أرجفت فى قالب تكذيب ان الخلاف قائم بين الوزارة والانجليز بسبب ذلك التقرير ... اما الحقيقة فلا تعلم الا بعد عودة الخديو من الوجه القبلى ...

ذكرت جريدة « المقطم » في عدد يوم الثلاثاء ٢٠ الجارى ان فخرى باشا ناظر الحقانية أدلى بملاحظات على تقرير المستر سكوت اختلف فيها رأيه عنه في أغلب المسائل خصوصا فيما يتعلق بتعيين المفتش العام ...

وقال انه يمانع كل الممانعة فى وضع مثل هذه المراقبة على القضاة والمحاكم ، سواء كانت المراقبة من ناظر الحقانية نفسه أو من المفتشين الذين يريد المستر سكوت تعيينهم ، وقد قرأ مجلس النظار هذه اللائحة ، ولم يقرر شيئا بخصوصها ، والظاهر انه سيصير تعيين لجنة للنظر فى تقرير المستر سكوت ولائحة فخرى باشا لتقرير ما يلائم حالة البلاد من كليهما ...

ثم يقول :

تقرر نهائيا تعيين اللجنة المنوه عنها وستكون مؤلفة بالصورة الآتية :

فخرى باشا رئيسا ، والمسيو موريندو « ايطالى » « مستشار خديوى »، والمسيو لوجربل النائب العمومى لدى المحاكم الاهلية « بلجيكى » وابراهيم نجيب بك رئيس المحكمة الابتدائية بمصر وحامد محمود بك رئيس محكمة بنها ، وابراهيم فؤادبك وكيل محكمة الاستئناف بصفة أعضاء ، ثم أضيف الى أعضائها اثنان من القضاة الانجليز بمحكمة الاستئناف وكان أول اجتماع لهذه

اللجنة يوم الخميس ٢٩ الجارى ، ولقد أثارت هـذه المسألة الراى العام ، وقامت الجرائد الوطنية «المؤيد» و « الوطن » تندد بتقرير المستر سكوت وتواردت الرسائل على الجرائد من الوطنيين الذين لا يريدون الا استقلال وطنهم ... أما جريدة « المقطم » الانجليزية فكانت دائما من المساعدين على ازدياد تفوق الانجليز و « الاهرام » الفرنساوية مذبذب لا يود الا الطعن فى الوزارة الوطنية ، وامتدح الجميع الوزارة فى معارضتها الانجليز فى هذه المسألة الجوهرية وهى أول مرة عارضت الحكومة المحلية رغبات الانجليز ...

● فى يوم الثلاثاء ١٠ فبراير ، احتفل الاجانب بما يسمونه الكرنفال ، وكان احتفالا شائقا لم يسبق له مثيل فى القاهرة وقامت بتنظيمه لجنة يرأسها السير بارنج قنصل انجلترا ، والكونت دومينى قنصل فرنسا ، والسنيور ماتشيو قنصل ايطاليا ، وساعدت الحكومة بمبلغ ٢٥٠ جنيها ، وسار الموكب فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر من قصر النيل الى ميدان عابدين للمرور أمام الخديو ، ومنه الى ميدان الاوبرا فشارع كامل الذى به فندق شبرد المشهور « بخمارة شبت » فشارع وجه البركة ــ كلوت بك ــ فحول الازبكية ، واستمر الاحتفال حتى آخر النهار ، وفى المساء احتفل بليلة « رقص باللو » بتياترو الاوبرا وشرف الخديو فى الساعة الحادية عشر مساء ...

● أشيع سفر الاورطة الاولى من المشاة المصرية مع فرقة من الطوبجية والسوارى لجهة سواكن بغتة ، ثم تكلمت الجرائد بشأن ذلك وقالت ان سفرها لفتح مدينة طوكر الواقعة بالقرب من ثغر سواكن على طريق

الخرطوم ، والظاهر ان الحكومة تنوى فتحها والسير الى الخرطوم ان امكن خوفا من تقــدم ايطاليا المحتلة الآن لمصوع نحو كسلا فالخرطوم ، الامر الذى يعود على مصر بأوخم العواقب ...

● فى يوم الخميس ١٢ فبراير عزمت الحــــكومة على فرض عوائد جمركية على الحشيش لانتفــــاع الحـكومة من ايراده ، حيث ان منعهــا له لم يمنع دخوله ولا تعاطيه جهارا فى المقاهى ، بل يعود عليها بخسارة ما تربحه من الجمرك بلا فائدة « ومن المعلوم انهـــا لو سعت فى ازدياد ايرادها من هــذه الوجوه التى لا تضر بعموم الاهالى ، بل تفيد المستقيمين منهم ... امكن تخفيض الضرائب عن الاطيان وأرباب الحرف » ...

● صدر أمر عال تعهـــــــد به الجناب العالى الى بيت روتشيلد بمبلغ ٢٨٦٢٢ جنيه وكسور سنويا ، ابتداء من ١٠ ابريل عام ١٨٩١ خصما من ديون مصر الواجب على الخديو وخلفائه دفعها الى الحكومة الضامنة لهذه المبـــالغ المذكورة مبـــلغ ٩٠٠ الف جنيـــــه . . . واهمية هــذا الامر العالى تأييد تبعية الحكومة المصرية الى الدولة العلية ... نعم أن هــذه التبعية لا تفيد مصر أقل فائدة مادية ، الا أنها تفيدها فائدة أدبية وهى تقوية حجة المعارضين للانجليز فى مصر وخصوصاً فرنسا والروسيا المتحدين الان اتحاداً ضمنيا فى كافة المســائل السياسية ...

● وفى يوم ٢٨ صدر أمر عال بفرض جمــرك عــــلى السيجار من ابتداء ٥ مايو المقبل وكان من قبل محتكرا لأحد الاجانب وذلك ممــــا يزيد فى ايراد الجمارك ... وبالتالى يساعد على تخفيف الضرائب ...

● « أول مايو عام ١٨٩١ » أهم ما حدث فى شهر مايو استعفاء الوزارة الرياضية الوطنية على اثر تعيين اللواء كتشنر باشا الانجليزى فى وزارة الداخلية لتنظيم البوليس وتوطيد الامن العام ، ولزيادة تدخل الانجليز فى كافة المصالح واستقالت معه الوزارة وذلك فى ١٣ مايو ، وكان لاستعفائه تأثير محزن فى قلوب المصريين لتحققهم أنها ستكون آخر الوزارات المصرية وخلفه على منصة الاحكام مصطفى فهمى باشا الذى كان ناظرا ـ اسما ـ للحربية وكذلك سيكون ناظرا للنظار ـ اسما ـ ولا يأتي الا ما يلقنه بارنج وزير انجلترا بمصر وان شئت فقل خديويها الاعظم ... وشكلت الوزارة الجديدة برئاسة مصطفى فهمى باشا ولم يكن بهذه الوزارة عضو وطني أصلا وذلك أن رئيسها وزكى باشا من جزائر الغرب وعبد الرحمن باشا رشدى مالطى الاصل ولم يولد بمصر ، وكذلك يوسف باشا فأصله رقيق من قبائل الجركس وتيكران باشا ارمنى وحسين فخرى باشا من ابوين تركيين لكنه يعد مصريا وكان معتبرا فى عيون المصريين خصوصا الشبان منهم الا ان بقاءه فى الوزارة الجديدة بعد معارضته لمشروع سكوت ، ونفاد هذا المشروع رغم أنفه اسقطه من عيون محبيه لتفضيله شرف المنصب على شرف النفس وعزتها ...

● فى شهر مايو ظهر الجراد فى مديريات الوجه القبلى حتى اسيوط ولم تأل الحكومة جهدا فى مكافحة الجراد بل شددت الاوامر على الحكام باعدامه واعطاء قرش صاغ لكل من يأتيها باقة منه أو من بيضه وارسلت جميع معاونى الداخلية لمساعدة الحكام على ذلك ولقد خفت وطأته والامل وطيد بمقاومته عن قريب وقانا الله شره ...

● في يوم الخميس ٣ يناير عام ١٨٩٢ تواترت الاخبار عن شدة مرض الخديو بعد أن قيل بالامس انه متوعك المزاج قليلا من شـدة البرد ، وقال البعض ان حالته خطيرة لتاثير البرد على رئتيـه ... وفى مسـاء اليوم المذكور أتت الاخبـار من حلوان بأن الخديو توفى الى رحمة الله بسبب مرضه الذى لم يمهله الا ثمانية أيام اشتد المرض عليه فى اليومين الاخيرين فيهـا فأغلقت التياترات والمقاهى والمحال العمومية واخطر ولى العهد البرنس عباس باشا بمدينـة فيينا تلغرافيـا واخطر الباب العالى فجاء تلغراف من ولى العهد الى مصطفى باشا رئيس النظارة هذه ترجمته :

— ان خبر وفاة سـيدى ووالدى قد أدهشنى وهـذا مصاب عظيم ليس فقط بالنسبة لعائلتى بل بالنسـبة للقطر المصرى جميعه فمتى وصـلنى منكم الاخبـار الاكيدة عن الوابور الذى سيصير تحضيره فى تريسته اسافر بلا تأخير واخبركم بالتلغراف عن ساعة السفر وانى على يقين بأنه حين ما اصل تستمر الاعمال سائرة على أحسن محور بهمة عطوفتكم ...

محبكم : عباس

وورد تلغراف من الصـدر الأعظم بالاستانة بتعيين عباس باشا اكبر أولاد الفقيد خديويا لمصر وهـذا نص ترجمته :

— بنـاء على ما عرضـناه على الحضرة الشـاهانية تقرر سند الخديوية الى حضرة عباس حلمى باشا أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ... وأنه لحين ما يصـل حضرته الى مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة عطوفتكم

بالاشتراك مع هيئة النظار ... وقد صـــدرت الارادة السنية بذلك فلزم الاخطار ...

الامضاء : جواد

● بعد موت الخديو كثرت الاشاعات بأن موته تسبب عن جهل او غلط الاطبـــاء المعالجين له وزاد اللغط ، حتى ان مجلس النظار طلب من الحكيمين « هيس » و « كومانوس » اللذين اســـتدعيا للاســـتانة فى يوم الاربعاء السابق للوفاة ومن سالم باشا سالم أن يقدموا تقارير عن حالة المرض وسبب الموت فقدموا التقـــارير المطلوبة يشم منها رائحة المسئولية على عيسى باشـــا حكيم السراى الثانى ، فكلفـــه مجلس النظـــار بتقديم تقرير وعين لجنة من مهرة الاطباء لفحص هذه التقارير ثم بعد يومين صرف النظر عن هـــذه المسألة بالـكلية حيث انه اتضح أن الموت طبيعى لا شبهة فيه ...

● فى ١١ يناير وصل الخديو عباس وأجريت التشريفات اللازمة وفى ميدان عابدين قرأ رئيس النظار التلغراف الوارد من الصدر الاعظم بتولية عباس باشـــا وعزفت الموســـيقى المصرية الســـلام الخديوى يتخللها ثلاث صيحات متعاقبة من الجيش المصرى بكلمة « أفنـــــدم قرجونه يشا » الخ ...

● فى يوم السبت ٣٠ منه اجتمعت الجمعية العمومية وحضرها الخديو وبعد أن حلف اليمين بين يدى أعضائها ألقى سموه خطابا وجيزا أظهر فيه اهتمامه بأعمـــــال مجلس نواب الامة وبشرهم بالغاء ضريبة « العونة » التى لم تحصـــل وبلغو (١) الباطنطا وبتخفيض ثمن الملح

(١) لغو : يعنى الغاء والباطنطا نوع من الضرائب التى كانت مفروضة وتشد « المؤلف »

الى نصف قرش للكيلو بعد أن كان ثمنه قرشا واحـــدا اى ان التنزيل بلغ ٤٠٪ تقريبـــا ... وختم الخـــديو خطابه بقوله :

« وأملنا بمعونة الله ، ومعاضـــــــدة الامة الكريمة تكون اعمالنا ومســـاعينا عائدة على مصر بالســـعادة والرفاهية ان شاء الله »

وهذه اول مرة ذكرت فيها الامة ومعاضدتها فى مقام رسمى اذ الولاة السابقون كانوا يعتبرون الامة كقطيـع من الاغنام لا يصلح الا للجزر ...

● فى أول فبراير احتفـــل بتســـليم قنصل فرنسا الجنرال نيشان « ليجيوردونير » الذى أهدته دولة فرنسا الى الخديو وفى اهدائها اياه هذا النيشان قبـــــل أن يأتى اليه فرمان التولية أو تهديه الدولة العالية نيشانا ساميا ، برهان على انها تريد بذلك تسخيره على مقاومة الانجليز لا سيما وأنها أرسلت « دوننمة بحـــرية » (١) رافقت اهداءه النيشان ..

● فى ٤ فبراير قابل الخديو اميرال الاسطول الروسى الذى أرسل من قبل قيصر الروسيا للسلام على الخـــديو وتهنئته وفى مجىء هذه الدوننمة الروسية عقب وصول الدوننمة الفرنسية بل قبل مبارحتها المياه دليل عـــلى اتحاد الدولتين على معاكسة الانجليز فى مصر ...

● فى ١٣ فبراير حصلت تغيـــيرات فى رجال الجيش العسكريين وفيه وصل قائد الاسطول الايطالى لتهنئة الخديو ومجىء هذا الاسطول لم يكن لمناصرة فرنســـا والروسيا اذ ايطاليا معضدة للانجليز فى مصر ...

● فى ١٧ فبراير انعم الخديو بالنيشان البحرى من

(١) يعنى آسطول « المؤلف »

الدرجة الاولى على سعادة احمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية « والدى » ...

● ١٠ مارس بعد الظهر بارز تلاميذ المدرسة التوفيقية تلاميذ المدرسة الخديوية فى لعب كرة القدم وهى رياضة انجليزية أدخلت حديثا فى المدارس ولتنشيط التلاميذ عليها جرى حصول مبارزات بينهم كى تهتم الفئة المغلوبة فى اتقان اللعب فتفوز على الفئة الغالبة ...

● ٢٧ مارس ثبت تعيين كتشنر باشا مفتش عموم البوليس سردارا للجيش المصرى بدلا من سيرجرانفيل باشا وتعين بدله ستيل باشا وهو انجليزى أيضا وهى فرصة أضاعها الخديو عباس لزيادة نفوذه وتأييده واستقلاله بتعيين سردار مصرى أو بتقلده هو نفسه رياسة الجيش المصرى ...

● ٥ أبريل توفى محمود باشا حمدى أخ زوجة رياض باشا وكان وكيلا للداخلية وشيعت جنازته بغاية الاحتفال مراعاة لرياض باشا لا للمتوفى حيث انه كان مبغوضا من أغلب الناس لسوء طباعه وعدم حسن معاملته لهم ...

● فى ٢٠ يونيه صدر الحكم فى القضية التى رفعها المسيو ملتون الانجليزى رئيس أطباء القصر العينى ضد جريدة « البوسفور » الفرنسية لطعنها فيه والحكم يقضى بأن تدفع الجريدة اليه مبلغ الف جنيه مصرى خلاف المصاريف ومن الغريب ان جريدة « المقطم » نشرت ملخص هذا الحكم قبل صدوره بيومين وذلك مما يثبت ان المحاكم المختلطة التى أصدرته مختلة وتتدخل السياسة فى مسائل القضاء ... أما الفرنسيون ففى غاية الكدر من هذا الحكم لاسيما وان رئيس المحكمة

كان المانيا ومن أشد أعداء فرنسا ...

● فى أواخر رمضان حدثت مسألة مهمة كادت تكون عاقبتها وخيمة لولا أن تداركتها الحكومة وهى ان ناظر الداخلية وهو رئيس النظار مصطفى فهمى باشا أصدر أمرا « بمنع اطلاق المدافع فى البنادر لعدم وجود عساكر مدفعية مدربين وتسليم المدافع للبوليس ينشأ عنه ضرر احيانا كما حصل فى بحر شهر رمضان وهو اصابة احد عساكر بوليس المنيا بالمدفع أعدمه الحياة » فهاج الاهالى وعدوا ذلك اجحافا بشعائر الدين وكتبوا عدة تلغرافات للخديو بذلك فصدرت الاوامر فى يومها بتفسير أمر الداخلية « بصورة تجعله غيرنافذ المفعول » وبذلك هدأت البال ...

● فى ١٣ يوليو أضرب الجزارون عن ذبح الماشية فاصبح ثمنها يساوى ضعفى الثمن والسبب ان الحكومة كانت متبعة طريقة سهلة ولكنها أقرب للغش فى أخذ رسوم الدخل وهى ان المعاون المعين بالمحطة يقدر الرسوم على حسب ما يتراءى له ، ثم استبدلت الطريقة بأخرى أقرب الى العدل وهى وزن الشاة أو غيرها ثم تنزيل ثلث الوزن نظير الاجزاء غير النافعة منها للأكل ويقول الجزارون ان هذا التقدير غير حقيقى وان نسبة الجزء غير الصالح ما بين ٥٠ ٪ و ٥٥ ٪ وقد أخذ الوطنيون منهم والاجانب وقاموا بالاضراب عن الذبح والبيع وتقرر تأليف لجنة من الحكومة والجزارين الوطنيين والاجانب ...

● فى ١٩ أغسطس عين المستر جاومس وكيلا للاشغال وكان قد تقرر أن وكيل الاشغال يكون انجليزيا كوكيل المالية بمعنى ان أهم نظارات الحكومة تكون فى قبضتهم

حيث ان النظار ينفذون رأيهم ويكونون آلة صماء فى ايدى الانجليز ...

● فى ٦ ديسمبر صدر عفو كريم عن كل من بقى من المحكوم عليهم بسبب الثورة العرابية وان ترد لهم رتبهم ونياشينهم وذلك لمحو آثار الثورة كلية ولم يبق الا المحكوم عليهم بالنفى فى جزيرة سيلان : عرابى ورفاقه

● مع بداية عام ١٨٩٣ كتب محمد فريد عن المنشور الذى أصدره كوكس باشا الانجليزى يأمر به المديرين «بأن جميع المخاطبات التى تختص بالضبط وتعيين العمد والمشايخ والخفراء تكون بعنوان ـ مفتش عموم البوليس ـ لا بعنوان ـ ناظر الداخلية » وقد هاجت الافكار وماجت عقب هذا المنشور الذى يحول جميع أعمال ناظر الداخلية الى مفتش عموم البوليس وهو انجليزى وقد ساعدهم على اصدار هذا المنشور وجود مصطفى فهمى باشا ناظر النظار مريضا فى بيته من نحو عشرة أيام ولو أنه لا يعارض فى اصداره ...

● فى ١٥ يناير سقطت الوزارة ويقال ان سبب سقوطها تعضيدها للانجليز فى مسألة منشور البوليس ضد رغبة الخديو وكيفية سقوطها أن الخديو أرسل زكى باشا ناظر الاشغال والمعارف ـ اسما ـ الى مصطفى فهمى باشا وهو ابن أخته ليدعوه الى الاستعفاء على لسان الخديو وذلك فى مساء السبت أمس ١٤ منه فوعده مصطفى باشا أن يعطى جوابه فى صباح الغد ـ أى اليوم ـ وفى الحال أرسل الى بالمرر مستشار المالية الانجليزى وأخبره بواقعة الحال فنصحه برفض الاستعفاء ولذلك لما أرسل اليه الخديو فى الصباح محمود شكرى باشا أحد رجال المعية يطلب منه الجواب أجابه بأنه

لا يستعفى فبعد ذلك بنحو ساعة أرسل اليه الخديو ارادة سنية باقالته من منصبه ...

وبذلك عزلت هـــذه الوزارة الانجليزية رغم انف الانجليز وتشكلت الوزارة ظهر اليوم برئاســة حسين فخرى باشا وتولى بطرس باشا وكيل الحقانية وزارة المالية ومظلوم باشا « تشريفاتى أول‌خديو» ناظرا للحقانية وبقى تكران باشا فى الحقانية وزكى باشـــا للمعارف والاشغال ويوسف شهدى باشا للحربية ويقال انه مزمع تغيير زكى باشا وشهدى باشـا واحمد شكرى باشـا وكيل الداخلية (المشـــهور بضعف عزيمته وموافقته للانجليز) ...

● فى ١٩ منه اســتلم النظار الجـــدد وظائفهم ولم يعتبر الموظفون تعيينهم قانونيا بل أن بالمر مستشار المالية قابل بطرس باشا وهناه قائلا له ما مؤداه : انى لاأعتبرك ناظرا حتى توافق حكومة انجلترا على ذلك ، وكذلك فعل « سكوت » بالحقانية مع مظلوم باشا ، ويقال ان اللورد كرومر ـ بارنج ـ اتفق مع الخديو عن عدم نشر الارادة السنية المؤذنة بتشكيل الوزارة الجديدة حتى تجىء اليه تعليمات من لندن ...

وتوجه النظـــار الى نظـــاراتهم بعد ذلك رغما عن معارضة الانجليز وباشروا اعمالهم والذى أشـــيع فى صباح اليوم عن المصـــادر التى يوثق بها انه قد أتت تعليمات من لندن الى اللورد كرومر فى مساء أمس تفيد عدم موافقة حكومة الانجليز على هذه الوزارة المعينة ضد رغباتهم وقام كرومر بتبليغ ذلك للخديو . فجاوبه الخديو

● فى الساعة ١١ من صباح هذا اليوم حضر اللورد كرومر وطلب من الخديو اســـقاط وزارة فخرى باشا

وارجاع وزارة مصــطفى فهمى ، فأبى ... فاقترح عليه أن يتعهد له سموه كتابة باستشـــارة انجلترا فى المستقبل فى مسألة تغيير الوزارات وهى تصـدق على تشكيل الوزارة فرفض هـذا الاقتراح بكل شهامة ...

فاقترح عليه أخيرا تغيير فخرى باشا بغيره لأن فخرى باشا ممقوت عند انجلترا ... فأجاب سموه بأنه سيفكر فى هذا الاقتراح الاخير .. فسأله اللورد كرومر عمن يريد تعيينـــه بدل فخرى باشا ، فأجاب ســـموه ، بأن ذلك من خصائصـــه هو لا غيره ، فانصرف اللورد كرومر ... وبعدها حضر لعــابدين قنصـــل اسبانيا بصفته أقدم القناصل ، وقنصل المانيا ، والنمسا ...

والتمسوا من الخديو تغيير فخرى باشا لحسم النزاع لاسيما وان المسألة انتقلت من دور المبادىء الاصلية الى دور الشخصيات ــ فقبل ســـموه ذلك ــ وارســـل لاستدعاء رياض باشا رجل مصر الوحيد وكلفه بقبول رئاسة المجلس مع بقاء الوزراء الذين انتخبهم ســموه فوعده رياض باشـــا بالتفكير فى ذلك وانصرف ...

فأرسل الخديو خلفه والدى فريد باشـــا ليلح عليه فى القبول نظرا للحالة الحاضرة ، فتوجه اليه وعاد يخبر الخديو انه قبل تقريبا وسيقابل سموه عند الغروب ، ثم توجه اليه كما وعد وقبل الرئاســة وبذلك انتهت الأزمة وانتصر الخديو فى مقـــاومة الامر الذى لم يره الانجليز مدة الخديو المرحوم توفيق باشا الذى كان رحمه الله السبب فى تطـاول الانجليـــز الى الوظائف بتســـاهله معهم فى كل الأمور ، كما كان الســـبب فى دخولهم مصر وقد ورد فى هذا اليوم الى الخديو تلغراف من المابين الهمايونى يعضده فى مقاومته ويشكره على ذلك

● فى ١٩ منه حضر رياض باشا الى الداخلية ومعه الامر العالى المؤذن بتعيينه رئيسا للهيئة وبقاء النظار الذين عينهم الخديو وقد جاء فى الرسالة التى أرسلها الخديو لرياض باشا يكلفه فيها بقبول الرئاسة انه يعده وعدا صريحا بتعضيده ومساعدته فى كل اجراءاته ولولا هذا الوعد لما قبل رياض باشا لأن السبب فى استعفائه مدة توفيق باشا هو عدم مساعدته وتساهله مع الانجليز فى كل أحوالهم وطلباتهم ويقال ان فى العزم تغيير زكى باشا لعدم اطاعته الخديو فى تبليغ طلب الاستعفاء الى مصطفى فهمى باشا وارتين باشا لسعيه فى خراب المعارف وتوسيع نطاق التربية الانجليزية بالمدارس واحمد باشا شكرى وكيل الداخلية لتساهله مع البوليس ورؤسائه الانجليز وأحمد باشا عفت مدير الدقهلية لميله لأعداء الوطن ، لكن سترجأ هذه التغيرات قليلا حتى تهدأ الافكار ...

● بلغت الايرادات عشرة مليون وعشرة آلاف جنيه مصرى ، وبلغت المصروفات تسعمائة وخمسا وخمسين ألف جنيه مصرى فتكون الزيادة أربعمائة وستين ألف جنيه مصرى وهذه الزيادة وهمية لانه لو لم تحول الديون ويتوفر منها المبلغ اعلاه لما بلغت الزيادة الا ١٨٢ر١١٦ جنيها مصريا ، ولو كانت الدائرة السنية لم تربح فى هذا العام مبلغا عظيما وكانت تخسر كالسابق مائتين وستين الف جنيه مصرى لاصبحت الميزانية فى عجز لا فى زيادة ، فالفضل فى هذه الزيادة لم يكن لرجال الانجليز الماليين ، بل لتحويل الدين ، ولناظر الدائرة السنية الوطنى والدى احمد فريد باشا ...

نعم أن الحكومة انزلت ضرائب مديريتى جرجا

والجيزة مبلغ مائة وأربعة عشر الف جنيه مصرى بمقتضى أمر عال ، لكن هذا المبلغ لم يكن شيئا مذكورا فى جانب ضريبة الدخان التى تربح سنويا فوق السبعمائة الف جنيه مصرى يدفعها الاهالى . حقيقة لا لوم على الحكومة اذا زادت الضرائب على الدخان والمسكرات وما شاكلها اذا كان ذلك لتنشيط الزراعة المصرية ، لكنها ملومة كل اللوم فى انها لم تقصد بذلك الا الوجهة المالية فقط وأبطلت زراعة الدخان البلدي الامر المغاير لمبادىء الاقتصاد السياسى لانها بذلك أعدمت زراعة مصرية فى سبيل احياء الزراعة الاجنبية مراعية فى ذلك صالح المالية قاضية بذلك على مصالح الاهالى حتى تظهر لاوروبا بهذه الارقام الوهمية ان المالية تقدمت فى زمن الانجليز واللوم فى ذلك على رجالنا الوطنيين الضعفاء الذين لايقاومون الانجليز فى مثل هذه المشروعات محافظة على راتبهم السنوى قاتلهم الله ...

● فى مساء ٨ أبريل (شخص) بالاوبرا برواية عربية من انشاء اسماعيل أفندى عاصم المحامى وهو شخص أهم دور فيها وأقبل الناس عليها حتى لم يجدوا بها محلا خاليا ، وخرج الجميع يثنون على همة هذا النشيط متعشمين انها لاتكون آخر رواياته ومقدمة لغيرها من تأليف غيره من أذكياء المصريين فان فن التشخيص يحتاج الى الترقى فى ديارنا المصرية ...

● صدرت فى هذه الايام جريدة علمية وطنية اسمها « التقدم المصرى » يقوم بتحريرها أعضاء جمعية التقدم المصرى المشكلة فى مونبليه بفرنسا من شبان مصر النازلين بها ومدير أعمالها الشيخ احمد القوصى من طلبة العلم فى دار العلوم وقد كثرت الجرائد

---

(١) من التشخيص : اى التمثيل

العلمية المصرية وضمنها « الشرائع » ويحررها جماعة من طلبة الحقوق ، و « الهدى » و « القديم » ، و « المدرسة » ، و « التلميذ » وتحرر « التلميذ » جمعية مشكلة من بعض الشبان المسلمين بها جمعية التعاون الاسلامى ـ لمساعدة فقراء التلاميذ وايراد هذه المجلة يضاف الى صندوق هذه الجمعية ....

● حضر الجناب العالى والنظار تجربة الوابور البترولى الذى اخترعه احمد صبرى بك المصرى المهندس بالسكك الحديدية وهو اختراع غريب فى بابه اذ انه لا يحتاج لفحم حجرى ولا لافران ، بل يدار بتبخر زيت البترول فقط بحرارة الشرارة الكهربائية ، ونجحت التجربة نجاحا عظيما ...

● وفى هذين اليومين اخترع شاب مصرى اسمه احمد افندى وهبى بجهة الناصرية آلة رائعة حلزونية الشكل يديرها حيوان واحد وتكفى لرى ٢٤ فدان صيفى ويتم باستعمالها اقتصاد نحو ٨٠ ٪ من مصاريف أى آلة رافعة أخرى وهذا ما يسر كل مصرى اذ به مضى قول المدعين بأن المصرى فقد قوة الاختراع ...

● فى ١٣ يونية عام ١٨٩٣ صدرت جريدة «الاستاذ» اليومية لعبد الله افندى نديم وبها عبارة مؤداها ، ان الجريدة ستحتجب مدة الصيف بسبب سفر محررها الى خارج مصر تبديلا للهواء ، لكن يظهر أن احتجابها كان قهرا عنه لعدم رضى الانجليز عن جريدته الوطنية الوطنية وهكذا تكون حرية الجرائد فى مصر !! ...

● لقد تحقق من أن توقف جريدة « الاستاذ » سيكون نهائيا لمعارضتها السياسة الانجليزية فقد تقرر ابعاد محررها الى خارج البلاد باختياره وهو قبل ذلك

بشرط أن تدفع اليه الحكومة فوراً مبلغ ٤٠٠ جنيه مصرى بصفة ترضية وترتب له ٢٥ جنيها شهريا تصرف اليه أينما يكون بشرط الا يكتب عن مصر مطلقـا وأن يقيم خارجا عنها ... وصرفت اليه الحكومة الانجليزية ٤٠٠ جنيـه مصرى وأعطى سركى المعاش وسافر رابع يوم عيدالاضحى قاصدا بلاد الشام ولقد اضطرت الحكومة لذلك بسبب تهديد اللورد كرومر لها بالقبض عليه بواسطة عساكر الاحتلال وخوفامن حصول مايكدرالراحةالعمومية وساعده رياض باشا حتى حصل له على هذا المبلغ ... فتأمل الى أي درجة وصل نفوذ الانجليز وضغطهم على الحـكام فى بلادنا ... لعن الله من كان السبب فى دخولهم ...

● فى ٣ يوليو صدر أمر عال بتعيين محمد بك نجـل المرحوم شريف باشا ... وهو من الشبان المتعلمين جدا لـكنه اقتبس اقبـح عادات الاجانب وهي اتخاذ الخليلات علنا بدل الزواج فاتخذ له خليلة اجنبية من مدة والده ولم تزل معه حتى الآن ...

● تواترت الاشاعة عن أخذ بطرس باشا ناظر الماليـة مبلغا من النقود من اخوان سوارس مقابل اعطائه بعض امتيازات فى ادخال السكر من ورشـته الى القـاهرة بدون دفع عوائد دخل مدة من الزمن ، ثم اعفائه من بعضها مدة طويلة من الزمان ...

● فى ١٤ أكتوبر توفى العـالم الشهير على مبارك باشا صاحب المـآثر الجليلة والمؤلفات المفيـدة واحتفـل بتشييع جنازته احتفـالا شـاهقا لم يسبق لغيره من الذوات بل كان شـبيها بجنازة الخديو توفيق باشـا ومع ذلك فما عمل له أقل بكثير مما يستحق لو روعيت خدماته فى الحكومة

وســـارت أمام نعشــــه فرقة من الجيش المصرى بالموسيقى وكثير من تلاميذ المدارس العالية والصغرى وكافة ذوات البلد يتقدمهم رئيس مجلس النظار رياض باشا ... واغلقت جميع المدارس من أقصى البـــلاد الى أقصاها ... ولو كان هذا الرجل المفضال فى بلاد غير بلادنا لأقيم له تمثال فاخر تخليـــدا لذكراه وربما اهتم بعض الطبقات المتعلمـــة بعمـــل اكتتاب لاقامة أثـــر لهذا الفقيد ...

● وفى ١٧ يناير قـــرر مجلس النظار مساعدة المعرض الوطنى المزمع انشاؤه فى الاسكندرية بمبلغ الف جنيه وهو مبلغ زهيد جدا لقاء هـــذا العمـــل الجليل الذى لم يسبق عمله فى مصر لاسيما وان المجلس قرر اعطاء ٥٠٠ جنيه مساعدة للجنة المرافع (السخرة) مع عدم الضرورة لذلك مطلقا .

● بلغنا ان ابراهيم افندى رمزى أحد أعيان الفيـــوم ومن أهم أدبائها وشعرائها عزم على انشاء جريدة خاصة لمديرية الفيوم وسيصدر العدد الاول منها يوم تشريف الخديو مدينة الفيوم ...

وستكون الجريدة أسبوعية ، وهى أريحية مفيـــدة نأمل أن يقتدى بها أدباء باقى المديريات فتصدر جريدة لكل مديرية تدافع عن حقوقها ، وتناضل عن مصالحها ، وعلى أى حال ما دامت النهضة الادبية مستمرة فلا يبعـــد الوصول الى هذه الغاية قريبا ...

● فى هذين اليومين ــ أوائل مارس ــ صـــدر مؤلف مهم جدا باللغة الفرنسية ألفه حضرة الفاضـــل قاسم أمين بك القاضى بمحكمة الاستئناف الاهليـــة ردا على كتاب أصدره منذ عامين أحد الفرنسيين طعنا فى الامة المصرية مدعيا ان الدين الاســـلامى سبب تقهقرها ،

فأراد قاسم بك دحض هـذه الادعاءات ، فوفى بالفرض وسبب تحرير كتابه بالفرنسية هو نشره على الاجانب فى مصر ، ليعلموا ان فى مصر رجالا قادرين على الدفاع عن شرف أمتهم .. وبذلك استحق هـذا الفاضـل ثناء جميع المصريين على الاطلاق ...

● وفى يوم أول مارس احتفـل فى مدينـة الباجور عاصـمة مركز سبك بالمنوفيـة بوضع الحجر الاول للمدرسـة التى قام بدفع نفقات بنـائها أعيان المركز وهذه اريحية يجب تخليدها لهم .. فان الامة لا ترتقى وتعرف حقوقها وواجباتهـا الا بالتعليم .. ويسرنا ان أهالى مدينة منوف واشـمون وتلا بالمنوفية قد حذوا حذوهم ، وجمعوا المـال اللازم لبنـاء المـدارس فى مراكزهم ، وما ذلك الا بهمة الفاضـل امين بك فكرى المدير العام .. وان شـاء الله يقتدى به باقى المديرون ـ وخاصة المتعلمون منهم ـ فيؤسسون مدرسـة فى كل مركز فينتشر العلم بين الاهـالى وتعم فائدته .. وهـذه أول النتائج الحسنة التى نشأت وتنشـأ من تعيين مديرين متعلمين مهذبين ، وقد انضم أهالى مركز مليج وجمعوا مبلغا كافيا من المال لبناء مدرسة فى بندر بركة السبع وستفتح جميع هذه المدارس فى أول العام القادم اذا تم بناؤها .. وقد قررت نظارة المعـارف تأسيس خمسة وعشرين كتابا منتظما فى البلاد الصغيرة بشرط أن البلدة التى تطلب ذلك تقدم المحل اللازم لها

● فى أواخـر مارس قررت الحـكومة تحـويل الدين الموحد ورأس ماله ٥٥ مليون تقريبا من الجنيهات الى دين جديد بفائدة ٣ ٪ بدلا من ٤ ٪ وعرضت مشروعها على الدول فعارضت فيه فرنسـا بحجة ان أهلهـا يمتلكون نحو أربعة أخماس هذا الدين وأنها لا تقبـل

تنزيل الفائدة ١ ٪ ولذلك ينتظر عدم نجاح هذا المشروع فانظر الى هذا التعصب والتدخل فى الشئون الداخلية المحضة ..

● فى ٦ فبراير عام ١٨٩٤ - بعد الظهر - احتفل بعيد المساخر (كرنفال) عند الافرنج وحضره الخديو وكان المتفرجون عديدين جداً ، وفتحت حديقة الازبكية للفقراء مجانا وأطرب فيها الحاضرين الشيخ يوسف المنشد الشهير ، ومحمد عثمان الالاتى وكان بها عدة طبول بلدية وبعض ألعاب للصبيان وانقضى اليوم ولم يحصل ما يكدر الراحة ...

● فى ٢٢ أبريل أحتفل فى الاسكندرية بافتتاح المعرض الصناعى الوطنى بحضور الخديو والنظار وجمع غفير من الاعيان ، ثم ألقى ابراهيم نجيب باشا المحافظ خطبة تناسب المقام ، ثم تلاه هيكاليس بك مدير جريدة « الفارو الاكسندرى » الفرنسية فألقى خطبة رد عليها بما يناسب المقام .. وبعد أن شاهد الخديو محلات العارضين عاد الى قصره .. ومحل الانتقاد فى الاحتفال هو أن الخطب كانت باللغة الفرنسية مع اننا مصريون ، والمعرض مصرى ، والمحافظ والخديو كذلك.. فكان الواجب عليهما التكلم باللغة العربية الشريفة ...

● أعتصم عمال نقل القمح فى بورسعيد طلبا فى زيادة الاجرة وضربوا المشتغلين فتداخلت الحكومة وقبضت على كثير منهم وفى ٢٤ مايو أى بعد ثلاثة أيام من بداية الاعتصاب - انتهى الاعتصاب - بهمة ماهر باشا المحافظ وقد ألقت جرائد الانجليز المسئولية عليه بدعوى انه هو المحرض للاضراب ليطلبوا عزله من الخديو فلم يفلحوا ...

● فى يوم الاثنين ٧ مايو عام ١٨٩٤ — يوم شم النسيم — هرع الاهالى الى ضواحى العاصمة للنزهة ، وبلغ عدد من قصد المطرية بطريق السكة الحديد نحو اربعة عشر ألف نفس ، ومن توجه الى القناطر الخيرية نحو ثمانية آلاف على ما بلغنى من بعض مفتشى السكة الحديد ...

● فى يوم الثلاثاء أشهرت الدائرة السنية بيع أطيانها فى تفتيش بسنديلة بالوجه البحرى البالغ مقدارها ١٢٣ ألف فدان بناء على طلب شركة البحيرة ، وكان الثمن الاساسى ٢٤٤ ألف جنيه مصرى حيث ان أغلبها برارى وكان الرأى العام كاسف البال متأسفا من تملك هذه الشركة الاجنبية مثل هذا القدر من الاطيان صفقة واحدة وتكلمت بذلك الجرائد لكن لم يسمع نداؤها حيث ان رئيس الشركة بوغوص نوبار باشا ابن نوبار باشا رئيس مجلس النظار الجديد . لكن ظهرت شركة وطنية يوم المزاد تحت رئاسة محمد البابلى بك وحسن مدكور بك ، واشتراك كثير من التجار وعمد الجهات التى بها الاطيان المراد بيعها ودخلت المزادالى أن رسا عليها بمبلغ ٢٧٤ ألف جنيه مصرى ، لكن يخشى الناس ان مجلس النظار لا يصدق على هذا البيع نظرا لخاطر بوغوص باشا اذ لا يرجى من نوبار باشا الذى اغتنى من السرقة والخيانة أن يقدم صالح الشركة الوطنية على صالح ابنه الذى ربما كان نائبا عن والده فى هذه المسألة ...

● فى ١٢ منه تحقق ما كنا نخشاه من عدم تصديق الحكومة على بيع تفتيش بسنديله الى الشركة الوطنية واعطائه الى شركة رى البحيرة ؛ وقد اختلفت الاقاويل

فى ذلك ، ونددت الجرائد بالحكومة حتى اضطرت الى نشر ما جرى فى هـذه المسألة من المحررات الرسمية بين المالية ومجلس النظار والدائرة السنية ظنا منهـا ان هذه التفصيلات تبرئها من وصـمة خدمة الاجانب وتثبيط همم الوطنيين فاتى ما نشرته على عكس ذلك

● فى خلال مايو شرعت الحكومة المصرية فى ابطال الرقص من المقاهى والمحلات العمومية مراعاة للآداب العامة وأصدرت أوامرها بذلك فامتنع الرقص ما عدا فى محل واحد لان الراقصة كانت متزوجة برجل جزائرى تابع للدولة الفرنسية... فلما رأت الراقصات ذلك أصبحن يتزوجن بمغاربة ممن لا خلاق لهم ... وبذلك عاد الرقص الى ما كان عليه وزيادة بواسطة وكيل الدولة الفرنسية الذى كأنه لم يوجد بمصر ، الا لحماية الفسق والفجور ، وهـذه من بعض مضار امتيازات الاجانب بمصر ...

● ظهرت فى هـذا الاسبوع والاسبوع الماضى جريدة وطنية مضادة للحكومة وللانجليز ، ومحررها وصاحب امتيازها اسماعيل اباظة بك من عائلة اباظة المشهورة بالشرقية وسماها « الاهالى » وبما انها شديدة اللهجة على الانجليز يخشى عليها من اضطهاد الحكومة فلا تلبث ان تغلق كما حدث لجريدة « الاستاذ » فى العام الماضى

● فى ٢٣ منه صدر أمر عال باحالة والدى فريد باشا ناظر الدائرة السنية الى المعاش وعين مكانه محمد محمد شاكر باشا وكيلها ناظرا وسيمين مكانه دانينوس باشا الارمنى والسبب فى ذلك على ما يرى هو رغبة نوبار باشا فى ترقية دانينوس باشا حيث يقال انه ابنه من السفاح .. أما والدى فقد استحق المعاش الكامل فالراحة الآن افضل له من الخدمة وقد استكمل

شاكر باشا معاشه ايضا ، وعن قريب يطلب الاحالة الى المعاش فيعين دانينوس ناظرا وهو المطلوب وستصبح الدائرة مغلقة الابواب فى وجه المصريين الذين يطلبون الاستخدام اذ يكون ملكا حلالا للارمن ومن على شاكلتهم من الدخلاء الذين هم أضر على البلاد من الانجليز ..

● منذ بضعة أيام حدث اعتصام فى بور سعيد من عمال الكراكات التى تشتغل فى القناة وأغلبهم من الاروام وغيرهم من اخلاط الاجانب وطلبوا زيادة اجورهم فأرسلت الحكومة قوة من البوليس لمنع ما لا تحمد عقباه واخذت الحال فى التحسن شيئا فشيئا لكن فى مساء الاحد ٣٠ منه اطلق شخص مجهول رصاصتين على باشمهندس القناة فقتله بعد ساعات قليلة واهتزت لذلك الحكومة وقنصلاتو فرنسا وارسلت الحكومة فنك باشا الانجليزى لتحقيق الواقعة بكل اهتمام اذ تخشى الحكومة او بعبارة اخرى يخشى الانجليز ان تتدخل فرنسا فى الامر وربما انزلت بعض عساكرها الى ضفة القناة بدعوى المحافظة عليها وعلى رعاياها المشتغلين فيصعب اخراجهم وتنتقل المسألة الى دور سياسى هام

● فى أول أكتوبر اجتمع مجلس شورى القوانين تحت رئاسة حسن حلمى باشا وكيله وهو من الباشوات الاتراك الذين لا يفقهون فى امور البلاد الا قولهم : « ان الدواء والعلاج هو الكرباج » وقرر المجلس بالاغلبية تقريبا رفض مشروع قدمته اليه نظارة الداخلية او بالحرى مفتش عموم البوليس الانجليزى يقضى بتعديل لائحة حمل السلاح تعديلا يجعل المصريين عزلا من

الاسلحة مطلقا وهى همة يشكر عليها رجال المجلس .

● لا حديث للبلاد في هذه الايام - أكتوبر - الاماطلبه الانجليز من تعيين مستشار انجليزى فى الداخلية فان ذلك يكون بمثابة وضع اليد على البلاد اذ يكون له اليد الطولى فى تعيين المديرين ووكلائهم ومامورى المراكز بل وجميع مستخدمى الادارة على العموم ، وبالتالى تكون الحكومة فى جميع اطراف القطر فى ايديهم ولقد استمالوا نوبار باشا الارمنى المحترف لمشروعهم ، وقد كثر تكلم الجرائد فى هذه المسألة ونبهت الافكار اليها ، وكل الاهالى ساخطون على نوبار باشا لقبوله ، الا أن الشائع ان الخديو لن يقبله لكن لا مندوحة عن نفاذه ما دام الانجليز مصرين على ذلك .

● فى ٣ نوفمبر صدر الامر العالى بذلك فقد تم ما كان يسعى اليه الانجليز للحصول عليه من مدة حتى اتى نوبار باشا الارمنى الخائن المحترف وطلب منهم تنفيذ امنيتهم فعين المستشار وصارت الداخلية برمتها فى قبضة الانجليز ولم يبق عليهم الا تعيين مستشار للخديو نفسه ولا يبعد حدوث ذلك ليتم لهم الاستيلاء الفعلى على مصر ولو لم يضعوا الحماية عليها رسميا ، ولا يمضى قليل حتى نرى الدخلاء الذين ثبتوا فى المديريات بوظائف عالية قد اصبحوا مديرين وهذه هى البطانة الكبرى التى تخشاها الامة اذ أن هؤلاء أضر على مصر من الانجليز انفسهم وقد اشيع ان المستر غورست سيتخذ له سكرتيرا من هؤلاء الدخلاء يرأس أقلام المالية .

● فى ٩ ديسمبر قيل أن الخديو أبلغ المجلس « مجلس النظار » رسميا أن احدى جواريه المحيظات « اقبال هانم »

حامل الان فى ستة أشهر ، أما ولاية العهد فهى لاخيه البرنس محمد على باشا

وبعد فترة ولدت محظية الخديو التى حملت منه بنتا لاولدا وعلى ذلك فولاية العهد مستمرة للبرنس محمد على باشا حتى يولد للخديو ولد ذكر ، وقد عقد الخديو قرانه عليها وسميت البنت باسم جدتها ..

● قرر مجلس النظار فى ١٠ نوفمبر تعيين لجنة تحت رئاسة فخرى باشا وعضوية ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية والشيخ حسونة للنظر فى مسالة توزيع اوقاف الاشراف على مستحقيها . الا ان السيد توفيق البكرى وضع قاعدة لعزل وتنصيب مشايخ الطرق حتى لا يكون البكرى مستقلا بها يولى من يشاء ويعزل من يشاء فاغتاظ البكرى من ذلك وقدم استعفاءه فلم يقبل منه لرغبة الخديو فى اذلاله واثبات الخيانة والاختلاس عليه انتقاما منه لميله الى الانجليز ومساعدتهم على سياستهم المضرة بمصالح البلاد وقدم محمد توفيق البكرى استقالته كنقيب للاشراف وشيخ مشايخ الاشراف ومشيخة الطرق فقبلت استقالته من نقابة الاشراف فقط وعين السيد عمر مكرم مكانه أما لجنة تحقيق أوقاف الاشراف فمستمرة فى تحقيقها وبعد ذلك صرف النظر عن اللجنة وبقى فى وظيفته بسعى اللورد كرومر ..

● بينما كان نوبار باشا فى ٢٥ نوفمبر بأبعاديته بشبرا ، أجفل ثور فخاف الباشا وتقهقر للخلف ، فسقط على الأرض واصيبت احدى رجليه بكسر فى عظم الساق وتقرر لمعالجته ٤٠ يوما ان امتدت حياته لانه مسن

جدا ويبلغ الثمانين ويبعد انجبار الكسر فى مثل هذا السن ..

● صدر أمر عال فى ينـاير عام ١٨٩٥ بناء على طلب الانجليز بتشكيل محكمة خاصة لكل من يتعدى على الانجليز من الاهالى من المستشار الانجليزى وضابط كبير من جيش الاحتلال وقاض انجليزى من محكمة الاستئناف الاهلية ورئيس محكمة مصر او الاسكندرية تحت رئاسة ناظر الحقانية وتحكم بغير قانون بحسب ما يتراءى لها بأى عقوبة تراها .. ولا تنعقد الا فى احوال استثنائية عند طلب الانجليز بناء على تقرير يقدم من قائد الاحتلال ومن الغريب ان النظار وافقوا على انشائها بالاجماع ولم يراعوا حرمة المصريين ولا احساساتهم . مع ان الانجليز لا يقصدون بهذه المحكمة العرفية الا التنكيل بمن يتظاهر بمعارضتهم خاصة الاعيان والذوات ـ كما فعلوا مع على شريف باشا وزملائه فى مسالة الرقيق ـ كل ذلك ليظهروا بأنهم اصحاب الحل والعقد وبيدهم السلطة فى كل الامور (١)

● قرر مجلس النظار فى نفس الوقت اضافة مدرسة دار العلوم الى مدرسة المبتديان لتكون كقسم عال بها وتوفير وظيفة ناظرها ـ ابراهيم مصطفى بك ـ وقد اراد ارتين باشا الغاء هذه المدرسة تقريبا لينتقم من ناظرها

(١) فى ٤ مارس ١٨٩٥ احتج مصطفى كامل على انشاء هذه المحكمة تحت عنوان « صواعق الاحتلال » وقد اعتمد الاحتلال على الامر الصادر بتأليف هذه المحكمة وشكلوا والفوا المحكمة المخصوصة التى تولت محاكمة ابناء دنشواى وقضت بالاعدام على حسن على محفوظ ويوسف حسن سليم والسيد عيسى سالم ومحمد درويش زهران . فى عام ٢٧ يونية ١٩٠٦ « المؤلف »

شخصيا • أما غرض الانجليز من الغــائها فهو تضييق دائرة العلم فى مصر لان هذه المدرسة تقوم بتخــريج قضاة شرعيين ، وتلاميــذها يؤخذون من الازهر وهم مشهورون بالمحبة الوطنية والحمية الاسلامية وقصــد اعداء البلاد قتل هاتين العاطفتين الشريفتين من المصريين .

● صدرت ارادة سنية بتشــكيل مجلس ادارة للجامع الازهر من ثلاثة من اكبر علمائه والشــيخ محمــد عبده ، القاضى بمحكمة مصر الاهليــة ، والشيخ عبد الـكريم سلمان وكيل الجرائد الرسمية بالداخلية وهما من المشــايخ الذين يرجى للازهر النفع على أيديهم تحت رئاسة الشيخ حسونة النواوى وكيل المشيخة ومامورية هــذا المجلس وضــع القــواعــد واللــوائح الضرورية للامتحانات واعطاء شهــادات التدريس وكل ما فيــه اصلاح هذه المدرسة القديمة وجعل نفعها أعم مما هو عليه ..

● فى ٢٥ مايو وصل الى الاسكندرية أسطول انجليزى تحت قيادة ميخائيل كولم سيمور ـ وهو خلاف سيمور الذى اطلق المدافع على الاسكندرية عام ١٨٨٢ ـ وهو مؤلف من نحو ٢٠ مدرعة حربية من جميع الانواع وقد احتفل الانجليز بضباط وبحارة الاسطول فأقاموا لهم وليمة فائقة فى المحل المعد للسباق ـ الابراهيمية ـ دعوا اليها الفين من رجال الاسطول ثم اقيم لهم احتفــال فى كازينو سان استفانو بالرمل ..

اما مجىء هذا الاسطول فيقصــد به الانجليــز ارهاب المصريين وايقاع الرعب والخوف فى قلوبهم ولم يتظــاهر المصريون بأى احتفــال بهذا الاســطول ولم يتظاهروا ضده بل التزموا السكون كما هى عادتهم!!..

● فى ٧ سبتمبر نظرت قضية التعدى على الخواجة حنيب الانجليزى من بعض رجال عزبة المنتزه وحكمت عليهم محكمة الاسكندرية بالحبس ثلاثة شهور وتأيد فيما بعد الحكم أمام محكمة الاستئناف رغم ما فى التهمة من التهويل ..

وفى هذا العام نفسه نظرت قضية الرعاع الذين تعدوا على بعض العساكر الانجليز عند عودتهم من المدفن امام محكمة مصر الابتدائية بصفة استثنائية وأيدت المحكمة الحكم الابتدائى وفى هاتين القضيتين روعى جانب الانجليز اكثر من جانب العدالة ..

وفى ٢١ منه تعدى بعض الرعاع على ثلاثة بحارة انجليز فى بور سعيد ، ونسب لرجل بوليس وطنى انه ساعدهم على ذلك ، وطلبت القنصلية اعتذار الحكومة فأمرت الخارجية وكيل المحافظة لغياب المحافظ بالاجازة بالتوجه الى دار القنصلية بالكسوة الرسمية والاعتذار له فصدع بالامر وتوجه اليها ..

● فى ١١ نوفمبر قدم نوبار باشا استقالته فجأة للخديو فقبلها وعين مصطفى فهمى باشا وابقى جميع النظار فى مراكزهم ولم يعرف سبب استقالته مع تهافته على البقاء فى المنصب ، ويقال أن الخديو اتفق مع اللورد كرومر على اقالته فقبل كرومر بشرط ارجاع مصطفى فهمى باشا . ولما قبل الخديو افهموا نوبار باشا ذلك فاستقال ..

● مع بداية عام ١٨٩٦ ظهر اختلال عظيم فى الجمارك واختلاس أموال كثيرة من الاموال الاميرية بها باتفاق كبار مستخدميها مع التجار ، وخاصة ما يقال ان لمخلع بك وكيل المصلحة وغيره من كبار الانجليز يدا في هذه

الاختلاسات واجرى التحقيق المسيو ووكس الانجليزى وكيل المالية ، فظهر لهذه المسائل صحة فقـــرر مجـلس النظارة تأليف لجنة عليا لتحقيق هذه الفضائح مؤلفة من المسيو مازوك الفرنسي والمفتش بالمالية ، وجونسون باشا الانجليزى الموجود بالحقانية ، والمسيو نبيرى الفرنسى « مستشـار خديوى » بقلم قضايا الحكومة وقد انقسـمت الجرائد فى هذه المسألة الى فريقين : فالجرائد التى تدافع عن مصالح الانجليز مثل المقطم تدافع عن الجمارك لان رئيسها انجليزى ، وأغلب رؤساء أقلامها شوام ، والفريق الاخر وعلى رأسه صحيفة « المؤيد » ، تظهر فضائحها بدون تحامل بل تقصد اظهار الحقائق ..

● فى ٦ نبراير عام ١٨٩٦ احتفل بزفاف كريمة مصطفى فهمى باشا رئيس مجلس النظـار على ســعد زغلول القـاضى بمحكمة الاستئناف وهو من الشـبان الذين وصلوا الى هذه الدرجات العليـا بمحكمة الاسـتئناف بجدهم واجتهادهم فانه من احدى العـائلات المتوسطة بمديرية البحيرة ثم تعلم بالازهر ثم اشتغل بالمحاماة ، واخيراً عين بالاستئناف ..

● فى ١٢ فبراير أقام الخديو حفلة فى سراى عابدين حضرها كثير من الاجانب المســتخدمين والمســتوطنين والسياح وكانت ليلة بهيجة وحدث فى اثنائها ان عثمان بك سكرتير نظارة الحقانية أفرط فى شرب الخمـر حتى تقيأ فى الحديقة العلوية على مرأى من كثيرين ، فأنزل من الحفلة وغضب الخديو عليه حتى لم يقابله فى أول شهر رمضان ، واجبر على تقديم استقالته فقدمها وقبلت منه ، ثم رؤى تعيينه وكيلا لمحكمة بنى سويف براتب اربعين جنيها فقط واخيرا عدل عن ذلك وصار تعيينه

ثانيا فى نظارة الحقانية وكيلا لاقلام بأربعين جنيها فقط مع انه كان من قبل ناظر أقلام بمرتب ٦٥ جنيها .. كان يقبض منها ٥٥ جنيهـا .. وبذلك انتهت هـذه الحادثة التى حزن لها كل محبيه وفرح لها مبغضـوه

● لم يحدث فى شهر أكتوبر عام ١٨٩٦ شيءمن الامور التى تستحق الذكر سوى مسـألة محاكمة صـاحب « المؤيد » لا لقصد اضراره شخصيا بل لقصد اسقاط هذا الجرنال الاسلامى الذى صار له صوت لا فى مصر فقط بل فى العالم الاسلامى اجمع . وذلك ان السردار أرسل تلغرافا لناظر الخزينة فى شـهر يونيـة يختص بالحملة وصحة أفراد الجيش نشر المؤيد صورته واتهمت السكة الحديد أحد مستخدميها باعطاء صـــورة من التلغراف لجريدة المؤيد ولكنـــه لم يعترف لا عن نفسه ولا عن المؤيد . وبعـــد التحقيق أصـــدر ناظـــر الحقانية امره بحفظ القضيـة بالنسبـة للشيـخ على يوسف « المؤيد » ورفعها على موظف التلغراف وبعد أن ارسلت الاوراق لنيابة محكمة عابدين الجزئية طلبها جونسون باشا الانجليزى المفتش بالحقانية وأمر باجراء تحقيق تكميلى بمداولة جديدة ضد صاحب « المؤيد » ولم يعارض الناظر الذى سبق أن أمر بحفظهـا ، وبعـد تحقيق لم تخرج القضية عن مركزهـــا الاصـــلى ثم ظهرت الايدى العاملة على ادانة الشيـخ على يوسـف زورا ، واتضح من التحقيق ان ملحم بك رئيس قلم المخابرات بالحربية اغرى بعض الشهود بالشهادة ضد الشيخ على يوسف ووعدهم بالمكافأة ومع ذلك أمرت النظارة ــ او بالحرى ــ جونسون باشا ــ برفع الدعوى على الشيخ على يوسف بصفته شريكا .. وتحدد لنظر

الدعوى يوم الاربعاء القادم والعموم ينتظرون الحكم بفارغ الصبر ..

وفى نوفمبر عام ١٨٩٧ بدأت المرافعة فى قضية النيابة ضد صاحب « المؤيد » ، وتوفيق كيرلس كان ابراهيم الهلباوى مدافعا عن توفيق كيرلس والسيد احمد الحسينى بك عن الشيخ على يوسف وعلى افندى توفيق وكيل النيابة مدعيا عموميا ـ وقد اتى المحاميان فى هذه القضية من ضروب البلاغة وقوة الحجة ما اثر على الحضور ، وكان الحاضرون كثيرين حتى غصت قاعة الجلسة وفناء المحكمة وانتشر الباقون فى الشوارع القريبة من المحكمة وحضر كثيرون من اعيان الاقاليم ونشرت المرافعة حرفيا فى « المؤيد » الذى طبع مرتين يوم الاربعاء .. وفى الختام نطق القاضى محمود خيرت بك بالحكم على توفيق كيرلس بالحبس ثلاثة شهور فى تهمة افشاء تلغراف الحربية وببراءة الشيخ على يوسف ... فصفق جميع الحاضرين بالمحكمة والشوارع وحمل بعضهم الشيخ على يوسف على الاعناق الى ان اوصلوه الى عربته .. ولا تسل عما لحق بالمحتلين واشياعهم من الخزى على هذا الخذلان وقد حضر ناظر الحربية عنانى باشا بصفته شاهد نفى اعلنه المحامى عن كيرلس وحضر المرافعة كثير من وكلاء النيابة والقضاة وبالجملة كاتب هذه الاحرف فزاد هذا التجمهر ، وطلب الانجليز من النائب العام فى ١٨ الجارى نقلى الى احدى المحاكم الكلية ، فصدر الامر وطلب من الحقانية نقلى الى نيابة بنى سويف وجاء التصديق فى صباح الخميس ١٩ منه . ولما علمت به صممت على الاستقالة من وظيفتى وعدم قبول هذا النقل المقصود

به اهانتى والتأثير على عواطفى واحساساتى الوطنية..

ولما توجهت يوم السبت الى نيابة الاستئناف بلغت ما تقرر رسميا فقدمت استقالتى الى النائب العام وجنابه استحسن ابقاءها طرفه الى يوم الاحد ، ربما اعدل عن فكرى مع انى اخبرته بتصميمى على ذلك قطعيا . وفى يوم الاحد توجهت اليه واخبرته باصرارى فكتب على الاستقالة للنظارة وقد اجابت بالقبول فى اليوم نفسه وبذلك تخلصت من خدمة الحكومة التى لا تقبل الا كل خاضع لاوامر الانجليز ميت الاحساس غير شريف العواطف ..

● اشاع أشياع الاحتلال عن محمود بك خيرت أنه افشى الحكم قبل صدوره الى كاتب هذه السطور وهى اشاعة وكذب محض وافتراء دنىء وذلك لاغاظتهم بصدور الحكم بالبراءة بخلاف ما كانوا يتمنون وقد استحسنت جميع الجرائد المعروفة بعدائها للانجليز الحكم ، واستأنفت النيابة حكم محمود خيرت بك قاضى عابدين ، ويخشى العموم ان تحكم محكمة الاستئناف بما يطمئن رغبات المحتلين بعد هذه التهديدات والوعد والوعيد وما اصابنى من النقل الذى اعقبه الاستقالة ..

وفى اول ديسمبر اقيمت قضية النيابة ضد صاحب « المؤيد » امام محكمة الاستئناف وتأخرت الى ١٥ يونيه وكان منذ أيام قد تم نقل خيرت بك قاضى محكمة عابدين الى المحكمة الكلية بدعوى أن النظام فى جلسة محاكمة صاحب «المؤيد» كان مختلا ، وان مصطفى كامل الوطنى جلس « فى مكان بارز مخصوص » ونقل خيرت بك ليس الا انتقاما منه لحكمه العادل ..

جاءت قضية النيابة ضد صاحب « المؤيد » امام

محكمة الاستئناف العليا اول ديسمبر وكانت الجلسة مؤلفة من علي ذو الفقار بك بصفتـه رئيسـا ويوسف شوقي بك والمستر كاميرون الانجليزي وتأجلت الى يوم ١٥ الجاري وفي هذه المدة كانت جريدة « المقطم » تكثر من التهديد والوعيد وتصف حكم محكمة عابدين بكل قبيح وسفيه .. وكذلك فعلت الجرائد الانجليزية بمصر .. ومع ذلك فقد حكم في اليوم المذكور ببراءة كيرلس من الحكم الابتدائي وتأييد البراءة بالنسبة للشيخ علي يوسف ، وكان الحاضرون كثيرين فحملوا صاحب « المؤيد » وزميله على الاعناق الى باب المحكمة وحدثت مظاهرات بجميع مدن الارياف انتظارا « للمؤيد » وأتت اليه تلغرافات من كل فج وقد حدث أثناء المداولة أن كان القاضيين الوطنيين في جانب البراءة ضد القاضي الانجليزي فثار هذا وكلمهما بعنف واتهمهما بانهما حضرا الحكم قبل الجلسة بايعاز من الخديو .. واشتد الخلاف حتي امتنع القاضي الانجليزي عن حضور تلاوة الحكم ، ولولا حضور بليغ يونس باشا رئيس الاستئناف لظهر الأمر في نفس اليوم فقد اقنع الانجليزي بضرورة الانصياع للاغلبية فخرج وحضر التلاوة رغم أنفه وقد رفع القاضيان الوطنيان شكواهما الى نظارة الحقانية وبلغت المسألة مسامع الخديو فتكلم مع المستر سكوت وتدخل اللورد كرومر في الامر ، وأخيرا ألزم القاضي الانجليزي بالاعتذار لزميليه وطلب الاجتماع معهما وقد تم ذلك الاجتماع يوم السبت ١٩ الجاري بحضور بليغ باشا وانتهى الامر ، لكن لم يزل المقطم الكذاب ، ينذر محكمة الاستئناف بحصول تغيير هام في العام المقبل ، ولا يبعد ان الانجليز انتقموا من القضاء الاهلي على عدم

انصياعه لاغراضهم ... وقد تأكد أن القاضيين الوطنيين كانا قد طلبا عقد الجمعية العمومية لمحاكمة القاضى الانجليزى «كامرون» على افشائه أسرار المداولة وتعديه بالقول على زميليه فاحتار سكوت وخشى عاقبة الامر وأراد الاستقالة ان لم يسحب القاضيانَ طلبهما فتدخل بليغ باشا رئيس الاستئناف وناظر الحقانية وألحا على القاضيين بكل شدة حتى سحبا الطلب وبعد ذلك تردد ان الانجليز سيزيدون عدد القضاة الانجليز فى محاكم الاستئناف لتكون الاغلبية لهم لو أرادوا الانتقام من أى انسان ..

وفى ٢٧ ديسمبر قرر مجلس النظار تعيين ثلاثة قضاة اوربيين فى المحكمة الاستئنافية كما سبق القول وبدأ انتقام الانجليز من هذه المحكمة لعدم حكمها ظلما على صاحب « المؤيد » الذى كان مقصودا فى قضية التلغرافات لشخصه بالذات بل لمبدئه وغايته ..

● فى يوم الاحد ٢٠ ديسمبر قدمت لجنة مجلس شورى القوانين المعين لفحص ميزانية الحكومة عن عام ١٨٩٧ تقريرها لهيئة المجلس وكل التقرير انتقاد وتقريع بغاية الحكمة ، ولاسباب معقولة جدا وجاء فيه بمناسبة المبلغ المخصص لجيش الاحتلال « ان الجيش المصرى قد صار كفؤا لحماية مصر فى الداخل وفى الخارج ولذلك لا يرى المجلس لزوما لوجود جيش اجنبى فى البلاد ويعتبر هذا القرار بمثابة احتجاج ضد الاحتلال » وأرسل هذا التقرير للحكومة فردت عليه بخطاب كله خروج عن حد الاداب حرره المستشار الانجليزى والنظار وأمضاه مظلوم باشا ناظر المالية .. ولقد أثر هذا الرد الوقح تأثيرا سيئا جدا عند العموم حيث

ظهرت فيه الحكومة بمظهر العداء للأمة المصرية غير مبالية بسخطها ما دام الانجليز راضين عنها ..

● ابتدأ عام ١٨٩٧ الميلادى والحكومة على ما رأيته من الانحطاط والنظار مستسلمون للانجليز يكتفون بقبض الرواتب والامة تئن تحت وطأة الاجانب والجرائد الوطنية تدافع بقدر الامكان ومجلس الشورى يظهر عدم رضاه عن هذه الحالة والحكومة تظهر له الجفاء والعداء وتغلظ له القول ..

وحالة أوروبا لاتسمح بمساعدتنا للوقوف ضد الاحتلال والحال سائر من ردىء الى أردأ ... نسأل الله حسن الختام ..

● من أهم ما حدث فى النصف الاول من فبراير عام ١٨٩٧ منع النظار الاخبار عن الجرائد المعارضة للحكومة وهى « المؤيد والجورنال اجبسيان والاهرام ، والاهالى » لانتقادهم أعمال الحكومة ، وكان هذا المنع بايعاز من جورست مستشار الداخلية فانظر الى أى درجة من الصغار وصلت الحكومة ..

● فى يوم الاربعاء نظرت القضية التأديبية التى رفعتها الحقانية ضد على افندى كامل وكيل النيابة أمام محكمة التأديب العليا وموضوع الدعوى أن لعلى أفندى تركة فى عزبة فى مديرية القليوبية وحصل بينه وبين شركائه نزاع أدى لطرد بعض السكان الزراعيين ولوجود ضغائن قديمة بينه وبين جونسون باشا الانجليزى اراد انتهاز هذه الفرصة للايقاع به لكن لم توافقه اللجنة العليا على رغبته بل قررت « بأن ما حصل منه لا يحاكم عليه أمام محكمة التأديب لانه لم يحدث منه اثناء تأدية وظيفته » ولما رأت الحكومة « العادلة » أن هذه اللجنة

لم تحكم لها ، وانها ضمان لرجال النيابة ضد استبداد الانجليز وضعت الحقانيــة مشروعا بتشــكيل مجلس تأديب آخر لرجال النيابة ..

● انعقد مجلس التأديب الذى أنشىء حديثا لمحاكمة وكلاء النيابة للحكم ثانيا على « على أفندى فهمى » وكيل النيابة مع ان المحكمة التأديبية العليا حكمت ببراءته ، ولكن أراد ذلك جونسون باشا فكان ما أراد ووجد من اخواننا المصريين سامحهم الله آلات صماء لتنفيذ أغراضه وحكم المجلس مع عدم اختصاصه بعزل على افندى من وظيفته واستأنف على افندى الحكم ولا بد من تأيـيـده ما دام جونسون باشا يطارده ..

وفى النصف الثانى من فبراير عام ١٨٩٧ حكمت محكمة التأديب الاستئنافية الجديدة على على افـنـدى فهمى طريد جونسون باشا بتأييد الحكم الابتدائى ولا غرابة فى ذلك حيث ان هذه المحكمة لم تنشأ الا لرفت هـذا الشاب . وقد قيل ان المجلس كان منقسما فى هـذه المسألة ويؤيد ذلك تأخير الحكم بضعة أيام ، والمعروف أن رئيس الاستئناف بليغ باشا والنائب العمومى حمد الله بك كانا فى صالح على افندى وامين باشا سيد احمد واحمد موسى بك مندوب لجنة المراقبة كانا ضـــده ثم تذبذب مندوب قلم القضايا وهو المسيو برناردى الايطالى ... واخيرا استسلم لمشورة الانجليز وانضم لفريق الادانة فكان ما كان ..

وكذلك احيل محمد بك القاضى بمحكمة الاسكندرية الى مجلس التأديب ، لكن امام محكمة الاســــــكندرية الاستئنافية بصفة جمعية عمومية ونسب اليه ارتكاب الرشوة وأحيل أيضا أنطون بك القاضى ببور سعيد ونسب اليه

ارتكاب التزوير فى محضر جلسة للوصول الى تبرئة متهم ولا بد أن يتخذ الانجليز هذه المسألة ذريعة الى زيادة عدد القضاة الانجليز فى جميع المحاكم الاهلية ، خاصة وقد قال مستر سكوت ذلك فى تقرير له ...

● وأهم ما حدث فى النصف الاول من شهر مارس عام ١٨٩٧ تعيين المستر دنلوب الانجليزى الموظف بنظارة المعارف سكرتيرا عاما لها وبذلك سقط نفوذ ارتين باشا الارمنى وأهمله الانجليز بعد أن استعملوه عدة أعوام فى اخلال نظام المدارس وجعل التعليم والتربية من آلات نشر النفوذ الانجليزى وكانت باكورة اعماله أن قدم مشروعا بتعديل التعليم الانجليزى تعديلا مضرا فجعل مدة التعليم ثلاث سنوات بدلا من خمس سنوات ، وجعل تعليم الرياضيات باللغة الاجنبية ـ الفرنسية أو الانجليزية ـ بحيث صارت اللغة العربية هى اللغة الأجنبية بالمدارس المصرية ولا ينتظر غير ذلك من امة محتلة ، صالحها فى نشر لغتها ولا بد من الوقت لجعل تعليم اللغة الانجليزية اجباريا .. ولا خلاص من سوء هذه التربية الا فى هجر مدارس الحكومة وانشاء مدارس اهلية لتعليم أولادنا وتربيتهم التربية الوطنية الحقة ..

● فى ٢٩ من مارس انعقد مجلس النظار تحت رئاسة الخديو وقد صادق على ما طلبه الموظفون الانجليز فى نظارة المعارف من تنقيص التعليم فى المدارس الثانوية من خمس سنوات الى ثلاث سنوات فقط فتنقص مواد التعليم الى درجة يخرج منها التلميذ لايحسن أى علم . ولابد ان يكون الخديو تألم كثيرا من تقرير هذه المشروعات لكن ما الحيلة وما العمل والنظار خائنون لا هم لهم الا مرضاة الانجليز ولو كان فى ذلك خراب البلاد ..

● نشر « المـــؤيد » صـــورة خطـــاب مرســـل من الوطنى الصادق مصطفى افنـــدى كامل الى المستر غلادستون زعيم الاحرار السابق فى انجلتـــرا ردا على الخطاب الذى أرسله اليه المستر المذكور الى مصر فى اواخر يناير وكان ايضا ردا على خطاب مصطفى كامل وقد ذكره مصطفى كامل فى خطابه الاخير بما أتاه فى صالح الارمن وطلب منه ان يخطب فى صـــالح مصر ، كما خطب فى صالح الارمن خصوصـــا وانه اعترف فى خطابه الاول ان زمن الجلاء حان منذ أعوام .. وقد خطب مصطفى كامل بالاسكندرية خطبة وطنية نشرها « المؤيد » بنصها وملخصـــها وجوب الاتحاد فى العمـــــل وتذكير الانجليز بوعودهم والاستعانة بأوربا والاحتـــراس من الدخيـــل الذى هو اضر من المحتل ..

● فى ١٥ ابريل خطب الشاب مصطفى افندى كامل خطبة شائقة باسكندرية باللغــــة الفرنسية فى تياترو زيزينا وحضرها كثير من أعيان الاجانب على اختـــلاف اجناسهم وأديانهم ..

وبهذه المناسبة نذكر ما حدث لاخيه على فهمى كامـــل الملازم اول من الاضطهاد انتقاما من اخيـــه وذلك ان على فهمى المذكور كان قد احيل على الاستـــيداع لا لذنب جناه بل لأنه أخو مصطفى كامل ، وقبـــل عيـــد الفطر قدم استقالته للسردار ليبحث عن وظيفة غير عسكرية وعقب ذلك ظهر امر الحملة المصرية فاسترد استقالته لـــكن ادعى عليه الانجليز انه قدم اســـتقالته هربا من الخدمة العسكرية وقت الحرب فأحالوه للمحـــاكمة أمام مجلس عسكرى ، وحكم عليه المجلس العسكرى بتنزيله

الى درجة نفر وسجنه عامين بالسجن الحربى ، وقـد ارسل على هذه الحال الى الحدود ..

● فى مساء ٤ مايو سـافرت على الباخـرة الفرنسية Legale الى مرسيليا لقضاء الاجازة بأوربا والاستجمام بمياه فيشي طلبا للصحة ومكثت بمدينة فيشي الى ١٨ يوليو .. اى أقمت بها شهرا وكان العزم على الاقامة ثلاثة اسابيع فقط .. لـكن حـدث فى ٨ يوليو انى سقطت من على البسكليت فحـدث لى رض شـديد فى قدم الرجـل اليسرى الزمنى الفـراش عشرة أيام وبعـدها قصـدت باريس وكان برجلى عرج اخـذ فى التناقص .. ولما سافرت من باريس الى جنيف لزيارة معرضها الوطنى قضيت بهـا ليلتـين بيـومين .. وفى يوم الخميس ١٣ اغسطس ابحرت من مرسيليـا وكان معى فى هذه الرحلة اخى وزميلى احمـد افندى لطفى السيد مساعد النيابة العمومية وكان عزمى عند سفرى ان ازور برلين وبودابست عاصمة المجر لزيارة المعرض المقـام هناك ، ولـكن عاقنى عن تنفيـذ هـذا العزم العارض الم برجلى ومع ذلك لم اقطع العشم من زيارتها فى المستقبل ولم يحدث اثناء رحلتى شىء هام لسـفر رجال الانجليز الذين لا ينفذ مشروع الا برأيهم

● وفى نوفمبر عام ١٨٩٦ سافر مصطفى أفندى كامل من باريس الى برلين لمحادثة أرباب الجرائد بها وتفهيمهم حقيقة مركز الانجليز بمصر واعمـالهم ، وان المصريين غير راضين عنهم وقد نشرت الجرائد اقواله وقـد اثر مصطفى كامل تأثيرا حسنا فى هاتين المملكتين وسيعود الى مصر فى منتصف نوفمبر عن طريق الاستانة ساعده الله على نجاح أعماله ..

● كتب الشاب الوطنى مصطفى كامل رسالة الى جرائد المانيا بتاريخ ٢٧ يناير الماضى ، وهو تاريخ ولادة الامبراطور غليوم يستحث الامة الالمانية على الاخذ بناصر مصر والاتحاد مع فرنسا وروسيا لتحريرها

وقد نشرت هذه الرسالة فى جرائد المانيا ونشرت ترجمتها جريدة « المؤيد » فى ١٥ فبراير .. اكثر الله من أمثال هذا الشاب ووفقنا جميعا لخدمة البلاد ..

***

ونظرة سريعة الى حوليات محمد فريد — أو يومياته — تؤكد لنا هذه الحقائق التى اوضحت كثيرا من الجوانب فى شخصية محمد فريد ..

١ — حرص محمد فريد على التزام الصدق فى كل ما يكتبه وعدم الاهتمام بشخصه على الاطلاق الا فيما يتعلق بالمسائل العامة التى تلتصق به ..

٢ — اهتمام محمد فريد بالمسائل الاقتصادية وكتابته عن الميزانية كتابة خبير مدقق ، ثم اهتمامه بالشركات الاجنبية التى استولت على الاقتصاد المصرى — بعد الاحتلال البريطانى — شيئا فشيئا وكذلك شرحه الوافى لكثير من مؤامرات هذه الشركات ..

٣ — اعطى محمد فريد — ولو فى نطاق ضيق — اهتماما خاصا بالفلاحين كمسألة فك الرهون ، وكذلك مشاكل العمال كتتبعه لاغتصاب العمال « أى اضرابهم والحديث عن مشاكلهم ..

٤ — تعتبر يوميات محمد فريد سجلا قضائيا ربما كان الوحيد من نوعه حيث حرص محمد فريد — وكيل النائب العام — على تتبع كل المسائل القضائية وكل ما يتعلق بالعاملين فى الحقل القضائى ..

٥ ـ اهتمام محمـد فريد بالاختـراعات والصحف الاقليمية والعلمية ..

٦ ـ لم تخـل مذكرات محمـد فريد من الاهتمام بالمسائل الخفيفة كمباراة كرة القدم ، أول مبـاراة من نوعها فى مصر بين طلبة الخديوية وطلبة التوفيقية .. وكذلك اهتمامه بعيد المساخر « الـكرنفال » وابطال الرقص ، وضريبة الحشيش .. و .. و ..

٧ ـ لم يمنع محمـد فريد اختلافه الشـديد مع الوزراء من ان يذكر لهم بعض الاعمال الطيبة التى قاموا بها ..

٨ ـ كان قلم محمد فريد فى بعض الاحيان قاسيا وعنيفا عند تناوله بعض الناس ووصفهم ببعض اوصاف تدخل تحت طائلة قانون العقوبات .. وهذا يؤكد حدة قلم محمد فريد وقسوته فى بعض الاحيان ..

٩ ـ كما اهتم محمد فريد باضراب العمال ، اهتم باضراب الجزارين ـ القصابين ـ ومناقشـة قضيتهم مناقشة موضوعية ..

١٠ ـ اهتم محمد فريد بتتبع كثير من الشخصيات الهامة كمصطفى كامل وقاسم امين وعبـــد الله نديم وسعد زغلول والشيخ على يوسف ..

١١ ـ اهتم محمد فريد بمســائل التعليم وناقش فى أكثر من مرة سياسة الاحتـلال البريطانى فى التعليم ، وأعطى الشيخ على مبارك حقه من المدح والثناء عندما كان وزيرا للمعارف ..

١٢ ـ تعتبر يوميات محمد فريد مرجعا تاريخيا هاما للفترة ما بين ١٨٩١ ـ ١٨٩٧ ، وهى من اظلم فترات تاريخ مصر .. وتؤكد الدلائل ان المذكرات الخاصة بالفترة

التى تلت اليوميات التى عثرنا عليها قد اختفت تماما ولم يعرف بعد اين مصير الكراسات المختفية .. هل استولى عليها البوليس فى اعقاب تفتيش منزله اكثر من مرة ؟ هل حملها محمد فريد الى الخارج وضاعت ضمن بعض الاوراق الهامة الخاصة بمحمد فريد والتى كان مصيرها الضياع .. على اية حال فان هذه اليوميات جديرة بدراسة المؤرخين والتعليق عليها بعد دراستها دراسة مستفيضة ..

محمد فريد
يقود الحركة الوطنية المصرية

كانت سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر تعتقد ان الحركة الوطنية التى بعثها مصطفى كامل ودفعها الى القوة والنضج بل والعنف خليفته محمد فريد لا يمكن ان تصل ـ مهما بذل لها الشعب من تأييد ومعاونة ـ الى الدرجة التى تهدد الاحتلال نفسه فى كيانه ووجوده ، وقد كان كرومر ، لدكتاتوريته العنيفة وشدته ، وسطوته وغطرسته ، يعتقد أنه ما دامت القوات البريطانية معسكرة فى قصر النيل والقلعة والتل الكبير وبورسعيد والاسماعيلية ، فلن يضيره ولن يخيفه فى الوقت ذاته هياج الغاضبين ولا مقالات الثائرين ولا مظاهرات الشباب .. وكان كرومر قد اعتمد على طائفة من الحكام ، والمستوزرين ، برعوا فى فهم اسلوبه فى الحكم والعمل لبريطانيا ضد مصر . وكان هؤلاء الذين اختارهم كرومر ، بدقة الخبير ، وروية السياسى الداهية ، وبعد نظر الاستعمارى العتيد عند حسن ظن كرومر بهم . فلم يخرج منهم على الخط الا واحدا أو اثنين طوال ربع قرن من الزمان ، وكانت سياسة كرومر مع الحاكم الشرعى وشدته وتهديده باستعمال القوة عند اللزوم قد اجبرت عباس حلمى الثانى ـ فى الاعوام الاخيرة من حكم كرومر ـ على الا

يتحرك الا بمقدار ، فلا يتقرب ألى الوطنيين خطوة الا اذا تقدم من المحتلين خطوات .. غير ان سياسة كرومر فشلت فى دنشواى ، وخان الرجل الذكى ذكاؤه كما خانته سياسة استخدام القوة ، اذ وجد نفسه فجأة وهو الذى كانت الامبراطورية البريطانية قد اعطته سلطة مطلقة ينفذ بها ما يريده فى مصر ، وجد نفسه وقد تم سحب بساط الحكم من تحت قدميه واصبح لا حول له ولا قوة .. أما السير الدون غورست ـ خليفة كرومر ـ فقد كان رجلا آخر تماما ، كان مستشارا ماليا فى الحكومة المصرية وكان مساعدا لكرومر فى تنفيذ سياسته المالية ، وكان على علم تام بما يجرى فى مصر . ولهذا فقد كان من السهل عليه ان ينفذ المخطط الذى وضعته السياسة البريطانية ـ فى لندن ـ وهو محاولة استرضاء الخديو عباس حلمى الثانى الذى تبين لبريطانيا انه لا يهتم بمظاهر الحكم ولا بأبهته ، بل كان اهتمامه بجمع المال بكل الطرق والاساليب ، وكانت التعليمات التى تلقاها غورست هى ان يعمل على تلبية كل مطالب عباس حلمى المالية بشرط ان يسير ـ بادب ـ فى الخط المرسوم له وأن يتجنب التقرب الى الوطنيين !! واشترك مع غورست فى تنفيذ الخطة لفيف من الخبراء فى الشئون المصرية استعان بهم غورست فى حكمه مصر وقد ادت الخطة الجديدة الى هدفين متباينين تماما ، فهى قد عملت على تقوية الحركة الوطنية بعد ان فقدت تماما كل ما كان يربطها بالخديو وانصاره وهى قد اندفعت نتيجة للقيادة الجديدة التى كانت تحتقر الخديو واساليبه ، وترى ان الخديو اذا عمل مع الوطنيين أم مع الانجليز

فهو نكبة على الحركة الوطنية !! وفى الوقت نفسه ادت الخطة الجديدة الى حدوث نوع من الانقسام الخطير بين صفوف الشعب أعاق مسيرته فترة قصيرة من الزمن ، كما أعاق الرؤية بالنسبة لكثير من أبنائه فترة أطول ! !

على ان الخديو عباس حلمى الثانى لم يكن ـ وهذه شهادة له ـ رجلا غبيا دائما .. كان يعرف ان انجلترا تريد ان تضرب به الوطنيين لتقوم بعدئذ باذلاله فيكون عبدا ذليلا يسير بلا عقل ، ولا روية ، ولا معارضة فى الخط الاستعمارى البريطانى ، وكان يعرف أن مصيره فى ظل الخطة الجديدة التى جاء بها غورست ان يكون ظلا للحاكم البريطانى يحمل اسم الخديو ويحمل الحاكم البريطانى السلطة التى للخديو ولم يكن عباس حلمى الثانى يريد ذلك وانما كان يحن ـ بين حين وآخر ـ الى الانفراد بالسلطة ، كان يريد أحيانا أن ينفك من القيود الحريرية التى وضعها غورست بدون أدب واحترام وخضوع فى يديه . كان يريد ان يكون موضع « مزايدة » باستمرار فاذا ما عرض الاحتلال شراءه برقم معين عرض نفسه على الشعب لامكان شرائه بضعف هذا الرقم ! ! ولهذا كان يحلو للخديو عباس حلمى الثانى أن يتخلص بين حين وآخر من قيود السياسة البريطانية للحصول على مزيد من المال فيتقرب الى الشعب ثم يحاول من جديد ان يضرب الشعب ويتقرب الى المحتلين وهكذا .

والحديث عن غورست وعباس يقتضى الاشارة الى الرجل الثالث الذى كان يحكم مصر فى الوقت الذى يحمل فيه الخديو عباس حلمى لقب الخديو وفى الوقت

الذى يحمل فيه غورست سلطة الخديو الى جانب لقب المعتمد البريطانى ، كان هذا الرجل هو محمد فريد ، ومحمد فريد كان يحكم مصر بالحب والايمان والتضحية . كان الرجل عنيفا جدا ، ومن اسرة عريقة جدا ، وكانت كل الظروف الطبيعية المادية تدفعه الى

ان يكون مع غورست أو مع الخديو ليصبح رئيسا للوزراء أو ليصبح لو أراد أكثر من رئيس للوزراء .. ولكن الرجل بطبعه وثقافته وتأثير جولاته فى اوربا واتصاله بالافكار الحديثة فى الخارج كان شيئا آخر..

لا يريد سلطة ولا مالا ولا جاها ، لا يريد الا ان يخدم شعبه فى الطريق المستقيم وبالاسلوب المستقيم ايضا ، ولهذا اختلف مع الخديو من اليوم الاول لتوليته قيادة الحركة الوطنية المصرية ..

كتب محمد فريد فى مذكراته يقول :

ــ من يوم وفاة مصطفى كامل ابتدأ الخديو يدس دسائس لانتخاب رئيس يكون طوع أمره ، ليستعمله فى أموره الشخصية وليحارب به الانجليز فأرسل رجاله فى الجنازة والمأتم وحتى الشيخ على يوسف عدو مصطفى والمنافس له فى جميع أموره حضر المأتم فى الليالى الثلاث الاول وكذلك عرفى باشا ورجاله أيضا ، وأخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحى أو عرفى باشا ، وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه .. كل هذا لم يفد ..

وفى يوم انعقاد الجمعية العمومية التى كنت دعوتها يوم ١٤ فبراير ، أى بعد الوفاة بأربعة أيام ، انتخبت بالاجماع ، وممن لعبوا دورا هاما فى هذه المسألة ــ بايعاز الخديو ــ على بك فهمى كامل فانه كان يريد

ان ينتخب بصفته أخا للفقيد وجهز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ووزعها على بعض الحاضرين وادخل فى الاجتماع الكثيرين من غير الاعضاء بواسطة من وضعهم عند الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بناء على خطاب كان كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى رئيسا لو فاجأه القدر المحتوم ..

كان رجال الخديو ، أثناء هذه الحركات يترددون على على فهمى أخو مصطفى كامل ويشجعونه على السعى فى أن ينتخب واعدينه بمساعدة الخديو المادية والادبية ، وهو ، (١) وكان يميل الىوساوسهم،ولكنهخاب

يوم انتخابى طلبنى الخديو عباس الثانى بالتليفون فتوجهت الى سراى عابدين بعد الظهر فقابلنى على الفور وهنأنى بكل لطف مؤملا الخير الكثير من وجودى فى مركز الرياسة من عبارته لى هذه الجملة أو معناها :

ـ ان وجود مثلك على رأس الحركة الوطنية مفيد جدا ، لانك لست محتاجا ولا طالبا للمال ولانك من عائلة خدمت البلاد ، ووالدك كان مشهورا بالعفة والصدق والاخلاص ولا يمكن للانجليز ان يقولوا عنك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفة .. الخ . هذه العبارات اللطيفة .. ثم سألنى عن حالة الجرائد ، فأخبرته بأنها ستسير باذن الله ، واننا وضعنا نظاما يساعد على بقائها ، ثم عرض على استعداده للمساعدة

---

(١) هنا عبارة اعتراضية وردت فى مسودة المذكرات ولكن محمد فريد اسقطها عند اعادة كتابتها وهى « وهو لطمعه وحبه للمال ».

بالمال فرفضت حتى لا اكون أسيره وطوع أمره .. وانصرفت ..

راى الرجل عقب ذلك بأنى لست ممن يطيعون اوامره اطاعة عمياء فأخذ يدس الدسائس لاسقاطى من جهة ، ويظهر لى التودد من جهة اخرى ..

ويمضى محمد فريد فى مذكراته قائلا :

– وفى ٢٩ ابريل عام ١٩٠٨ خطبت أول خطبة لى كبيرة فى مسرح الشيخ سلامة بشارع الجنينة البحرى وكان لها تأثير شديد وفى هذه الفترة شرعنا فى الحصول على امضاءات بطلب المجلس النيابى التام وكانت خطبتى فى هذا الموضوع واثرت كثيرا حتى اننا جمعنا نحو خمسة وسبعين ألف امضاء وكان الشروع فى هذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى اذا سافر الى انجلترا تكلم مع الملك ادوارد واظهر له ان الامة طالبة الدستور وانه يرى اعطاءها اياه لانه من حقوقها ..

وفى مايو عزمت على السفر الى اوربا وقابلته قبل السفر بيومين ودار بينى وبينه هذا الحديث :

الخديو : ما الذى عزمت عليه ياسى فريد ؟

فريد : سأسافر لاوربا وأسير فى طريق مصطفى كامل حتى لا يقال ان الحركة ماتت بموته ولأظهر للعالم الاوروبى ان حركتنا قوية لا تقوم بقيام شخص ولاتسقط بموته ..

الخديو : عظيم ، عظيم ، سافر نجح الله مقاصدك

فريد : سأسافر ان شاء الله وانما أطلب من أفندينا الا يعاكسنى فى مساعى والا يرسل من خلفى من يسعى ضدى أو يعرقل مسعاى كما فعل افندينا فى العام الماضى حيث أرسل حافظ عوض وأباظة باشا والشيخ

على يوسف الى لندن لمعاكستى ..

الخديو : لا والله ياسى فريد لا تخف، مصطفى نوع وانت نوع ، ومع ذلك فأنا لم ارسل حافظ عوض فى العام الماضى ..

فريـد : ان أمر ارسـاله مثبـوت وانك أعطيتـه ثلاثمائة جنيه مصاريف سفره ..

الخديو : « لا والله مائة وخمسين جنيها فقط » ، ثم تلعثم وتغير لونه فقمت وانصرفت مودعا .. وكلمته فى أمر عرائض طلب المجلس النيابى فأمرنى بتقديمها الى ديوان الخديو فقدمتها قبل سفرى الى شفيق باشـا بخطاب رسمى من الحزب ذكرت فيه أن هذا التصريح بناء على أمر الخديو .. »

وتحدث محمد فريد عن الوفد الذى ارسله الخديو الى لندن للاتفاق مع الانجليز « على أعطائنا دسـتـورا صغيرا فى مقابل قتل حركة الحزب الوطنى والاعتراف ضمنا بالاحتلال الانجليزى وقال ان هذا دليل على عدم اخلاص الخديو ..

ويقول محمد فريد :

ـ سافرت انا من باريس الى لندن واقمت بها بضعة أيام وزرت المستر بلانت وقابلنى ربرتسون من أعضاء مجلس النواب والمستر بريلسفورد مدير جريدة الديلى نيوز البريطانية ، وتناولنا الغداء معا فكلمونى فى ضرورة السـكوت على الاحتـلال وعدم المطالبـة بالجلاء وهم يساعدوننا على نوال ما نطلب من الاصـلاح الداخـلى والدستور فرفضت طبعـا لثقتى انها خدعة يراد بها اسقاط الحزب من اعين الامة فيصـبح آلة فى يدهم كحزب الامة أو كحزب الحكومة ..

بعدها سافرت الى ادنبره حيث اقمت يومين أقام لى الطلبة المصريون مع الجمعية الاسلامية حفلة حضرها اللورد حاكم المدينة وخطبت فيها بضرورة الجلاء حتى تصبح الامة المصرية صديقة للأمة الانجليزية تكون معها لا عليها اذا قامت بينها وبين دولة أخرى حرب عظمى

● وفى ١٤ سبتمبر عام ١٩٠٨ خطبت خطبة بالقاهرة بمناسبة تاريخ دخول الانجليز مصر .. وفى مساء اليوم المذكور قصدت الزقازيق مع بعض رجال الحزب لحضور احتفال آخر فتظاهر الاباظية ضدى بالمحطة وارادوا منع الاحتفال فمنعهم البوليس وتم الاحتفال وخطبت فيه خطبة صغيرة .. وفى الصباح قصدت بلدة أبو كبير مع اسماعيل بك لبيب واخيه عبد الله بك طلعت وقضينا اليوم هناك ثم عدنا فى المساء الى القاهرة وكانت نتيجة رفض الاتفاق مع الانجليز وطعنى على الوفد الاباظى غيظ الخديو منى لانه كان ابتدأ فى سياسة الوفاق مع الانجليز وعضده فى ذلك بطرس باشا وكنت انتقدت هذه السياسة فى خطبة ابريل عام ١٩٠٨ وحذرت الخديو من سوء نتيجتها ، ولكن بطرس تغلب عليه واقنعه بأن الحركة الوطنية لا شىء والاحسن استعمال الشدة معها وسافرا معا الى لندن وهناك تقوت سياسة الوفاق وعاد الخديو لمصر مصرا على محاربتنا وأتتنا اخبار ذلك من باريس ممن قابلوه من الاخوان ..

ولما جاء مصر سافرت الى الاسكندرية وقابلته فى المقابلة العمومية التى حصلت بمناسبة عودته ومناسبة شهر رمضان فسألنى :

ـ ماذا فعلت فى أوربا ياسى فريد ؟

قلت : « اشتغلت فى تنفيذ البرنامج الذى اتفقنا عليه يا افنديتا » .. فظهرت عليه علامات التغيير .. وانصرفت

من ذلك اليوم ايقنت ان الرجل خاننا واتفق مع الانجليز بواسطة بطرس باشا والسير الدون غورست على محاربتنا فكتبت فى جريدة « اللواء » مقالا شديدا ضده بعنوان : « ماذا يقولون ؟ » كان سببا فى طعن جرائد « المؤيد » و « الاهرام » التى تأتمر بأوامر المعية وفتحت باب المناقشة فى سياسة الوفاق وزاد الخلاف بيننا نحن معشر الحزب الوطنى وبين الخديو ورجاله ..

ثم فى عام ١٩٠٩ فى شهر مارس ، اصدرت الحكومة قانون المطبوعات القديم الصادر فى عام ١٨٨١ : ايام الثورة العرابية ، فحدثت مظاهرات عظيمة ضده فرقها البوليس بالقوة ، وأخذت الجرائد الانجليزية تقول ان الامن فى مصر غير مستتب ، والجرائد الافرنجية فى مصر تهيج الرأى العام الاوروبى ..

وأفاض محمد فريد فى المؤامرة التى دبرت فى جريدة « اللواء » واضراب عمال « اللواء » ومحرريه عن العمل «وكان مركز الاضراب لجنة الحزب الوطنى بالسيدة زينب وكيف كان السبب الظاهرى ـ فصل غانم افندى أحد الموظفين بالجريدة لسفره الى الاسكندرية ـ وكيف تدخل المحررون وطلبوا ارجاعه فرفضنا طبعا.. ثم طلبوا ان نحرر معهم عقودا بمدد معينة مدعين انهم أصبحوا غير آمنين على وظائفهم فرفضنا ذلك .. »

وفى صبيحة ٣ نوفمبر عام ١٩٠٨ ، لما حضرت من منزلى لم أجد احدا من العمال لا كبيرا ولا صغيرا ، وبعد قليل حضر محمود افندى عزت مندوبا من قبل

المعتصمين فلم نتفق .. وأخيرا استدعيت بعض الاخوان بالتليفون واحضرنا عمالا آخرين وجمعنا الجرنال وطبعناه فى مطبعة الجريدة بعد اتفاقى مع احمد لطفى السيد بك ، لان عامل آلة الطبع كان رفع منها بعض قطع لتعطيلها .. وفى أثناء ذلك علمنا ان الخديو ارسل لهم ستين جنيها اعانة ..

ويمضى محمد فريد قائلا :

ــ كان المحرك لكل هذه الاعمال هو يوسف المويلحى الذى لم يقبل مطلقا عضوا بالحزب بصفة رسمية لعدم ثقتنا فيه ، بل لعلمنا انه من رجال البوليس السرى ، ولكنى لم أقاطع السيد افندى على واخواته ــ وكانوا بعد خروجهم من « اللواء » قد اسسوا جريدة « مصر الفتاة » بل زرتهم فى محل ادارتهم وشجعتهم على العمل ..

ولما القيت خطبتى السنوية أرسلت صورتها لسيد على لينشرها فى جريدته وقت القائها ، كما أعطيتها لجريدة « اللواء » وتكلمت عن تأسيس جريدة « مصر الفتاة » فى هذه الخطبة فقلت انها للحزب الوطنى الذى اصبح له جريدتان بدلا من جريدة واحدة وبذلك كسبت سيد على الذى ظل محافظا على ولائه لى لدرجة ما ..

وتحدث محمد فريد عن اشتراك طلعت حرب فى مؤامرة « اللواء » و «ليتندار اجبسيان وذى اجبسيان استاندرد » بوصفه وكيل دائرة عمر سلطان احد اعضاء مجلس ادارة « اللواء » وكيف اضطر الحزب الى الغاء صحيفة « ليتندار اجبسيان » «بعد أن صرفنا عليها من خزينة الحزب ما يقرب من الفين وخمسمائة جنيه ونسب الى أعدائى عدم القدرة على الاستمرار فى اعمال مصطفى » ..

وتحدث محمد فريد عن الخلاف الذى قام بين ورثة مصطفى كامل وفى مقدمتهم على فهمى كامل الذى كان يملك وحده نصف جريدة « اللواء » وكيف عين يوسف المويلحى حارسا قضائيا على شركة « اللواء » وكيف جاء المويلحى فى ٢٨ فبراير – أى بعد مقتل بطرس غالى باشا بثمانية أيام – والحكومة قائمة بشدة ضد الحزب الوطنى وجرائده – واستلم ادارة « اللواء » وأحضر معه كل العمال الذين خرجوا بسبب الاعتصام وأراد التدخل فى سياسة الجرائد والاطلاع على كل ما يكتب فيها فعارضت بصفتى رئيس الحزب وصاحب الاشراف على سياسته وسياسة جريدته فلم يقبل طبعا ، لان قصدهم كان وضع يدهم على الجريدة فتركناها واعلنا بأنها أصبحت لا علاقة لها بالحزب وأسسنا جريدة « العلم » وظهر أول عدد منها يوم ٧ أو ٨ مارس .. أى بعد أسبوع وساعدنا محمد سعيد باشا اذ ذاك بالحصول على رخصة اصدار « العلم » وتساهل معنا فى التأمين .. وبالاختصار قام فى هذه الحادثة بما يجب عليه لانه كان محتاجا لتعضيد الحزب الوطنى له ..

وأشار محمد فريد فى مذكراته الى مقال نشرد بجريدة « اللواء » – ١١ ابريل عام ١٩٠٨ – وبه اشارة الى تخوف سياسى ممن تهمهم السياسة المصرية من تكرار زيارات السير الدون غورست لسراى عابدين.. لقد لاحظنا ان السير الدون غورست لا يتأخر عن زيارة الجناب العالى كلما يقصد سموه سراى عابدين وان هذه الزيارات تكاد تكون دائما فى ساعة واحدة وهى الساعة الحادية عشرة صباحا . وقد شغلت هذه الزيارات المتزايدة والغير عادية حضرة

السياسى ، وحضرة السياسى له الحق فى أن يضطرب بسببها لحصولها فى وقت ينشغل الرأى العام بمسألة هى أم المسائل وتحقق لهـا قلوب المصريين كافة وقلب مصر ٠٠ الا وهى مسألة الحصول على الدستور ٠٠

والمقال الثانى الذى كتبه محمد فريد فى سبتمبر عام ١٩٠٨ ، كان اشد عنفا من المقال السابق وقد قال فيه :

« الا ان نتيجة هـذه السياسة سياســـة تخدير أعصاب الامة ربما جاءت على عكس ما يتوهمون ، فان الحركة كما قلنا شديدة وتيارها قوى جارف لا بد من نيل الامة للدستور رضيت بطانة الامير أم لم ترض٠٠»

وقال محمد فريد فى ختام مقاله : لن نقصد الحكومة الانجليزية مطلقا ولو كان نيلنا الدستور معلقا على طلبه منهم فخير لنا ان نبقى بلا دستور من ان نناله بالاعتراف بأن للانجليز حقا أو شـبه حق فى بلادنا مهما رمونا بالتهور أو التطرف فلهم دينهم ولنا دين ٠ » وللعلم فان أول عدد صدر من جريدة « العلم » كان فى يوم ٧ مارس عام ١٩١٠ وقد اقبل عليها الرأى العام اقبـالا

شديدا واحلها فور صدورها محل جريدة « اللواء » فى المكانة السياسية والصحفية معا، ولكن جريدة «العلم» أوقفت بعد ١٣ عددا حيث قامت وزارة محمد سعيد ــ وكانت قد تألفت فى ٢٣ فبـــراير عام ١٩١٠ ــ بايقافها فى ٢٥ مارس عام ١٩١٠ لمدة شهرين بحجة انها خرجت فى كتاباتها عن حد الاعتدال ٠٠ وقد أصدر محمد فريد فى اليوم التالى جريدة « الشعب » وكتب فيها مقالا افتتاحيا قال فيه :

ــ نحن لسنا اعداء للأمة الانجليــزية ، بل اعداء الاحتـــلال ، فان أرادت انجلترا ازالة ما بيننا وبينها

من العداوة فلتخرج من بلادنا ولتتركنا وشـأننا ندير امورنا بما يوافق مصلحتنا التى نحن أدرى بها .. اما ما داموا لبلادنا محتلين وفى امورنا متدخلين فلا امل فى الصفاء مطلقا بينهم وبين الامة .. »

على ان محمد فريد لم يترك فرصة تمر دون فضح الخديو فيما بعد ..

قال الخديو عبـاس لمسيو جان رود مكاتب جريدة « الطان » الفرنسية فى ابريل عام ١٩١٠ يصف رجال الحزب الوطنى « بأنهم قوم متسرعون جدا أخروا تقدم البـلاد الطبيعى بالحافهم فى مطالب سـابقة لاوانهـا ومصحوبة بالضوضاء » .. وقد علق محمد فريد على حديث الخديو بمقالين قال فى أحدهما :

ـ ولا ادرى ما الذى حمل سمو الأمير على اعتبارنا متسرعين وملحفين فى طلب الدستور .. مع أن مبادئنا لم تتغير من عام ١٩٠٧ الى الان ، بل ما زالت هى هى تلك المبادىء التى أساسها طلب الجلاء وطلب الدستور لايوجد لدينا ما يضطرنا لتغيير سياستنـا أو تعديلهـا فاننا لا ندأب نطالب بالجلاء والدستور حتى ننالهما ولا يقعدنا عن السير فى طريقنا ما نراه من مظاهر الوفاق ـ بين الانجليز والخديو ـ كما لا ينقص من همتنا رمينا بأننا متسرعون » ..

وقال محمد فريد فى مقـاله الثـانى تحت عنـوان « سياسة الشدة » :

« ان الفكرة سائرة لا يعوقها فى تقدمها سـياسة وفاق أو سياسة أخرى مبنيـة على ارضـاء المحتلين باستعمال القسوة المتناهيـة مع كل من لديه شجاعة أدبية فى قول الحق »

وقد كان أول تغيير جذرى فى السياسة المصرية عقب تولى محمد فريد قيادة الحركة الوطنية استقالة وزارة مصطفى فهمى فى ١١ نوفمبر عام ١٩٠٨ بعد ان استنفدت اغراضها فى خدمة الاحتلال ثلاثة عشر عاما .

وألف بطرس غالى باشا وزارته الجديدة وقد دعا محمد فريد الى نسيان ماضى بطرس غالى وطالبه ان يمحو بخدمته الجديدة ما علق فى الاذهان من تأثير أعماله الماضية . ولكن بطرس غالى كان قد جاء الى الحكم ببرنامج محدد فى مقدمته تكميم الافواه وتقييد حرية الصحافة ، ومحاولة اعاقة الحركة الوطنية عن التقدم والانتشار .

وبدأ بطرس باشا عقب توليه الوزارة بتنفيذ البرنامج الذى وضع له فى دار المعتمد البريطانى ! فأعاد العمل بقانون المطبوعات القديم ، الصادر فى ٢٦ نوفمبر عام ١٨٨١ ابان الثورة العرابية وكان قد بطل العمل به منذ زمن بعيد وهذا القانون يخول لوزارة الداخلية حق انذار الصحف وتعطيلها مؤقتا أو نهائيا دون محاكمة أو دفاع ، وكان اصدار هذا القرار اول مظاهر تحالف الخديو والوزارة والاحتلال ضد الحركة الوطنية . وقد احتج محمد فريد باسم الحزب الوطنى لدى الخديو مبديا استياء الحزب الوطنى من رغبة تقرير الحكومة فىالعودة الى العمل بقانون المطبوعات لعام١٨٨١، ذلك القانون الذى صدر فى وقت كانت فيه البلاد فى فوضى ... وقال فى حديث له مع مراسل جريدة « كورير ديجيبت » انى اعتقد ان ما تهددنا به الحكومة من تكميم افواهنا واعنات صحافتنا لا يكون له اثر سوى انه يزيد الحركة الوطنية وان من خرق

سياسة الحكومة ان تسد تلك الفوهة التى كان يتصاعد منها ما يفيض من احساس الامة وآلامها »

وعن مظاهرات الاحتجاج بسبب اعادة قانون المطبوعات قال محمد فريد :

ــ لقد اثبتت مظاهرات يومى الاربعاء والخميس السخط العام على هذا القانون الشاذ الذى يراد به القضاء على حرية الصحافة ..

« ان مسئولية ما وقع فى ميدان الاوبرا من الحوادث واقعة على عاتق البوليس وحده ولقد كان يخشى ان تؤدى حملة الفرسان الى قلاقل خطيرة لولا ما اظهره الطلبة من الثبات والرزانة » .. وقال محمد فريد فىخطبته فى المؤتمر الوطنى فى ٧ ينايرعام ١٩١٠ :

« ولولا ما استعمله المتظاهرون من الحكمة فى عدم المقاومة لتدخل جيش الاحتلال الذى كان على أهبة الاستعداد ، ولسالت الدماء أنهارا »

وأشار محمد فريد الى حملات الحكومة ضد الصحافة وآثارها فقال :

« على ان كل هذه الاعمال لم تكمم أفواه الجرائد ولم تخفف من لهجتها ، بل ان كلا منها سارت فى الطريق الذى رسمته لنفسها غير متحولة عنه مهما هددت أو أوذيت فى محرريها والقائمين بها » .. وكان محمد فريد قد حرك الشعب فى مظاهرات عنيفة اشترك فيها الشعب بجميع طوائفه وطبقاته ... ففى ٢٦ مارس ١٩٠٩ اجتمع آلاف من الشباب من طلبة المدارس العالية والعمال وطوائف التجار فى حديقة الازبكية .. وتوالى الخطباء وساروا بعد الخطب ــ فى مظاهرة ــ بلغ عدد المشتركين فيها نحو عشرة آلاف شخص ..

وانتهت فى ميدان الاوبرا ، وتجددت المظاهرات بعد ذلك فى ٣١ مارس فى حديقة الجزيرة وتحرك الشعب كله فى الايام التالية ونشبت معارك عنيفة بين المتظاهرين وقوات البوليس التى كان يقودها هارفى باشا .. وقد أصيب كثير من المتظاهرين بسبب الضرب بالعصى الغليظة وسنابك الخيل ومع ذلك لم يتفرق المتظاهرون فجاءت فرقة المطافىء وصوبت مياه مضخاتها الى المتظاهرين واغلقت المحال التجارية أبوابها ... وقدم للمحاكمة احمد حلمى المحرر الاول بجريدة « اللواء » ومحمود رمزى نظيم ، وعثمان طلعت صبور ، ومختار طلعت صبور ، واحمد زكى ، وابراهيم غانم ، بتهمة اهانة الحكومة.. واهتم الشعب بهذه القضية واعتبرها قضية الحرية وحكم على احمد حلمى صاحب جريدة « القطر المصرى » والمحرر الاول بجريدة « اللواء » — أيام مصطفى كامل — بالسجن ستة أشهر وحبس الباقين ثلاثة أشهر وتبرئة ابراهيم غانم !!

ويروى احمد شفيق باشا — ضمن مذكراته — صدى اعادة العمل بقانون الصحافة الصادر فى عام ١٨٨١ ، — وقد نشرت « الوقائع الرسمية » القرار الخاص به فى ٢٧ مارس عام ١٩٠٩ — فيقول :

— ثارت جميع الصحف وحملت جريدة « اللواء » على القانون بعنف ووردت تلغرافات للجمعية وللحكومة بالاستياء منه .. وفى اليوم التالى ذهب الخديو الى المحطة لتوديع الدوق اوف كنوت .. وفى اثناء ذهابه وعودته الى قصر عابدين لاحظ ان بعض الطلبة الذين ينتمون الى الحزب الوطنى كانوا جالسين على قهوة « الشيشة » وغيرها وهم فى حالة عدم اكتراث .. ولما

مرعليهم الخديو لم يتحركوا ولم يقفوا لاداء السلام، بل على العكس رفعوا ساقا فوق ساق ونظروا اليه وقد احس سموه انه لابد وان يكون الحزب الوطنى قد كلفهم بتنظيم هذه المظاهرة انتقاما منه بسبب قانون المطبوعات والصحافة .. وبلغنى من سموه انه ورد للنظار انذار بأن عشرة من الطلبة سينتقمون منهم ويقتلونهم لاقرارهم رجوع قانون مطبوعات عام ١٨٨١ وان النظار يخشون هذه الجمعية » ..

« وحدث اثناء غياب سموه ، عند افتتاح بورسودان مظاهرة كبيرة قام بها الطلاب المنتمون للحزب الوطنى وان هارفى باشا الحكمدار الذى كان مشرفا على تفريقهم سقط عن جواده .. ولكن البوليس تمكن من القبض على الفاعل وعلى عدد من المتظاهرين لتقديمهم للمحاكمة وعلمنا ان جيش الاحتلال كان على استعداد لاول اشارة وان القائد العام كان يراقب الحالة بنفسه فى ميدان الاوبرا .. »

وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قد قدم للمحاكمة فى يوليو ـ اغسطس عام ١٩٠٨ بتهمة نشر اخبار مثيرة عن السودان وكانت المحاكمة ـ كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه محمد فريد ـ فوزا كبيرا للحركة الوطنية وجاء الحكم فيها ضربة شديدة اصابت هيبة الوزارة التى قررت ان تقدم الشيخ جاويش للمحاكمة مرة ثانية فى ٢٨ يونيو عام ١٩٠٩ ، لانه نشر مقالا بعنوان « ذكرى دنشواى » ..

ويكتب على فهمى كامل من رجال القضاء ـ وهو غير شقيق مصطفى كامل ـ الى محمد فريد خطابا يقول فيه :

« رأيت فى جريدة « مصر » عدد الامس ان السير غورست طلب من الداخليــة ترجمــة مقــال « ذكرى دنشواى » الذى جاء فيه طعن على بطرس غالى باشا وفتحى زغلول باشا .لمحاكمة الشيخ عبد العزيزجاويش فلعل هذا الخبر لا يكون صحيحا لان فيه القضاء على جريدة « اللواء » والحزب الوطنى معا ، لانه على ما ارى يستحيل البراءة لانه طعن شخصى لا طعن على العمل ذاته »

وكان الشيخ جاويش قد ختم مقـــاله عن « ذكرى دنشواى » بالعبارة التالية :

« الا فلنذكر الآن الثامن والعشرين من شهر يونية ولنذكر ان للاحتلال اعوانا من بيننــا يجب محاربتهم بالبغض ، ومعاملتهم بالحذر وسوء الظن »

وقد حكم بالحبس ثلاثة اشهر على الشيخ جاويش وفى يوم الحكم الاستئنافى انذرت جريدة « اللواء » فى ٢٥ اغسطس عام ١٩٠٩ ..

وعن انذار جريدة « اللواء » والحكم على الشــيخ جاويش كتب احمد شفيق باشا فى « مذكراتى فى نصف قرن » يقول :

« علمنا ان البرلمان الانجليزى أوصى وزير الخارجية الانجليزية بعدم التضييق على حرية الصحف فى مصر ولــكن حدث ان اضطرت الحكومة الى الخروج عن هذا التحفظ .. اولا لأن جريدة « اللواء » نشرت فصولا طويلة مدحت فيها دنجرا الهندى قاتل اللورد كيرزون فى انجلترا واعتبرت عمله عملا طيبا خالدا ودعت الشبان الى التشبه به فى وطنيته .. وثانيا لأن الشيخ جاويش نشر فى جريدة « اللواء » مقالا شديد اللهجة طعن فيه

فى حق بطرس غالى باشا وفتحى زغلول باشا ومحمد يوسف بك .. أما جريدة « اللواء » فقـــد تقـــرر انذارها بعد أخذ ورد بين مصر ولندن حتى ان بطرس غالى باشا لوح بالاستقالة اذا لم تنذر الجريدة ..

وفى ٢٠ مارس عام ١٩١٠ ، اصدرت حكومة محمد سعيد باشا قرارا باغلاق جريدة « العلم » لمدة شهرين بحجة انها خرجت فى كتاباتها عن حد الاعتدال.. وعلق محمد فريد على ذلك بقوله :

ـ كل من اطلع على قرار الحكومة القــاضى بتعطيل جريدة « العلم » لســان حال الحزب الوطنى والمعبرة عن أفكاره يكاد يعتقد ان قصدها الوحيــد هو محاربة هــذا الحزب لانه اشــتهر بعــدم محاباة الحكومة والاحتلال ، وعدم التملق لاصحاب السلطة فى مصر ، ولانه المعبر عن راى السواد الاعظم من الامة والنــاطق بلسان شبيبتها الراقية الرشــيدة .. نعم ان قصــد الحكومة أو قصد مستشاريها من الانجليز تكميم أفواه رجال هذا الحزب عن التشهير بأعمالها الضــارة التى تأتيها طوعا أو كرها .. ولــكننا قوم تذرعنا بالصبــر على الــكوارث ، واتخذنا الثبات شعارا لنا ، لا يلوينا عن غايتنا اضطهاد ولا نتقهقر الى الوراء مطلقــا مهما اوذينا فى انفسنا أو فى جرائدنا ، ما بقى لنا من القانون اقل فرجة لبلوغ امنيتنا لا نتأخر عن الولوج منها »

وعن مشروع مد امتياز قناة السويس ، كتب احمد شفيق باشا يقول :

ـ حضر غورست فى اول نوفمبر عام ١٩٠٩ وقابل سمو الخديو فى سراى راس التين واتفقــا على عرض مشروع مد امتياز قناة السويس على الجمعية العامة

على شرط ان يدافع سعد زغلول عنه ويكون راى الجمعية قاطعا ..

وفى ٧ فبراير عام ١٩١٠ ، افتتح سمو الخديو دور الانعقاد السنوى كالمعتاد . وفى هذا الوقت كانت المظاهرات تطوف شوارع العاصمة هاتفة ضد مشروع قناة السويس وضد الاستبداد وضد جريدة «الاهرام» لانها تروج للمشروع وكانت صحف الحزب الوطنى «والجريدة» تكتب بلهجة حادة ضد مروجى المشروع وتتهم بطرس غالى باشا خاصة والنظار عامة بالخيانة والاجرام فى حق الوطن حتى لقد امتد اتهامها الى الخديو نفسه بعد القاء خطبته السابقة وكان « الجو مكهربا » من جراء هذه الحملات وتوالت هذه المظاهرات الحماسية عدة أيام ..

وقد لعب محمد فريد دورا خطيرا فى احباط مشروع مد امتياز قناة السويس اربعين عاما أخرى ، وذلك فى أواخر عام ١٩٠٩ ، وأوائل عام ١٩١٠ ، والقصة تتلخص فى ان المستشار المالى البريطانى للحكومة المصرية مستر بول هارفى دخل فى مفاوضات مع شركة قناة السويس لمد امتيازها اربعين عاما لقاء اربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة ، وجانب من الارباح من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٦٨ وظل المشروع فى ظل الخفاء زهاء عام وكان فى عزم الوزارة تنفيذه بسرعة حتى لايزعجها احتجاج الصحف الوطنية ولكن محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة من المشروع فى اكتوبر عام ١٩٠٩ ، فبادر الى نشرها فى جريدة « اللواء » .. ثم قام على اثرها ببيان اسرار المشروع واسبابه ومدى الغبن الذى يصيب مصر من ورائه وشرح ذلك فى سلسلة مقالات مستفيضة دلت

على سعة المامه بدقائق المسألة المصرية وملابستها من الوجهتين السياسية والمالية » (١) وطلب محمد فريد من الخديو باسم الحزب الوطنى الا تحرم الامة من أخذ رايها فى المفاوضات التى تدور الان مع الشركة وطلب من مجلس الوزراء أن يكون راى الامة قاطعا فى هذا الموضوع والا تتحمل الحكومة كل مسئوليته ، والحزب الوطنى يحتج على هذا العمل ان تم بدون أخذ رأى الامة .. وكان نداء محمد فريد صيحة الخطر التى استجابت لها البلاد فى هذه المسألة فقامت بطوائفها وصحافتها تنادى بوجوب عرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه ، وكادت الحكومة تنفذ المشروع لولا الضجة التى اثارها الحزب الوطنى حوله فاضطرت تحت ضغط الرأى العام ان تتريث قبل البت فيه ..

وقد اسمى حافظ ابراهيم الحزب الذى يؤيد رأى الشعب فى الموضوع بحزب الشمال ، والحزب الذى يؤيد الحكومة بحزب اليمين :

ويا حزب اليمين اليك عنا
لقد طاشت نبالك والسهام
ويا حزب الشمال اليك منا
ومن ابناء نجدتك السلام

ويقول محمد فريد وكانه كان يفكر فيما اقدمت عليه الثورة عام ١٩٥٦ من تاميم القناة :

ـ ان مصر لو كانت حرة وكانت أعمالها بيد نوابها لفضلت استرداد الامتياز من الان فى مقابل تعويض مالي يدفع للشركة مرة واحدة أو مقابل جزء من الارباح كما فعلت الدول التى استردت امتياز سككها الحديدية»

(١) محمد فريد ـ عبد الرحمن الرافعى

وعقـــدت الجمعية العموميـــة فى ٩ فبراير عام ١٩١٠ اجتماعها الاول .. وفى ابريل رفضت الجمعية ـ فيما عدا اصوات الوزراء والعضو مرقص ســـميكة باشا ـ المشروع ..

وقد سجلت الحركة الوطنية اكبر انتصـــار لها على السياسة الاستعمارية ..

« وكان نداء محمد فريد بمثابة صيحة الخطر فقامت الامة بطوائفها وصحافتها تنادى بوجوب عرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه وان يكون رأى الجمعية العمومية قاطعا رغم انها جمعيـــة استشارية

وتحت ضغط الرأى العام اضطرت الجمعية العمومية لرفض المشروع » (١)

وقد اقلق هـــذا الانتصار الشعبى مضاجع الحكومة حتى لقـــد أخـــذت جريدة « المقطم » ـ لســـان حال الاحتلال ـ تكيـــد للحركة الوطنيـــة وتؤكد ان الحزب الوطنى كما جاء فى عددى ٢٦ و ٢٩ أكتوبر عام ١٩١٠ حزب ثورى يعرض بالجناب العـــالى الخديوى ويختزن السلاح توطئة لثورة يقوم بها فى مصر

وقد حكم بحبس الشيخ على الغاياتى ـ غيابيـــا ـ بالحبس ستة أشهر مع الشغل ، والشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر مع النفـــاذ وذلك فى ١٦ اغسطس عام ١٩١٠ ، وقدم محمد فريد الى المحاكمة بتهمة « تحسين كتاب وطنيتى » للشيخ على الغـــاياتى ، وكتاب « وطنيتى » عبارة عن عدد من القصائد الثورية نشرتها جريدة « العلم » وجريدة « اللواء » وجمعت بعد نشرها فى كتاب ..

(١) تطور الحـــركة الوطنيـــة (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) شهدى عطية

وكان مما قاله محمد فريد فى مقدمة ديوان «وطنيتى»:

« لقد كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو فى الشرق اماتة الشعر الحماسى وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد والاطراء الفارغ للملوك والامراء والوزراء ..

لقد تنبهت الامم المغلوبة على امرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والاناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين فكان ذلك من اكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات » ..

وانهى محمد فريد كلمته بدعوة الشعراء الى الاقلاع عن عادة وضع قصائد المدح فى أيام معلومة ومواسم معدودة وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية العالية فى خدمة الامة وتربيتها بدلا من أن يصرفوها فى خدمة الاغنياء وتملق الامراء والتقرب من الوزراء « فالحكام زائلون والامة باقية ، والسلام لمن سمع ووفق لخدمة بلاده وسعى فان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » ..

وعندما قدم محمد فريد الى المحاكمة ، كتب أمين الرافعى فى جريدة « العلم » بتاريخ ٢٤ يناير عام ١٩١١ تحت عنوان : « انزلوا بنا ما شئتم من الشدة » ..

ثم قضت محكمة جنايات مصر برئاسة مستر دلبرأوغلى فى ٢٣ يناير عام ١٩١١ بسجن محمد فريد ستة اشهر مع النفاذ ..

وعلق امين الرافعى على الحكم فى ٢٧ يناير تحت عنوان : « حول الحكم على الرئيس » قال فيه :

ـ هناك اجماع على الاستياء .. اجمـــاع على أن الحكم صارم .. اجمـــاع على انه اذا كان لا بد من الحكم فكان ايقاف التنفيذ واجبا .. اجماع على الدهشة من تفاوت الاحكام فى قضيـــة واحدة ولتهمة واحدة .. اجماع على التساؤل عن سر هذا التفاوت الغريب .. اجماع على ان قانون احالة جنح الصحافة على محكمة الجنايات مع حرمان المتهم من الضـمانات التى يتمتع بها اللصوص وقطاع الطرق وسفاكو الدماء كان من أشد الضربات التى آلمت الامة ..

نعم .. ما أصدرت المحاكم فى مصر حكما قابلته الامة من كبيرها الى صـغيرها بمثل الاستيـــاء العظيم الذى قوبل به حكم الامس لان الناس يرون فيه عدم تناسب بين التهمـــة التى قال القضـــاء بوجودها وبين العقوبة وبين هذه وبين المحكوم عليه ويحتارون فى تفسير ذلك حيرة شديدة ..

ولقد شعرت بهذه الحيرة احدى الجرائد الاجنبية التى يقولون عنها انها لسان حال الاحتلال فقالت :

« ان رئاســـة فريد بك هى التى جعلته يقوم بدور هام فى الحادثة التى اعتبرها القضاء معاقبا عليها وهذا الدور لا يقف عند المقـدمة التى كتبها وانما مسئولية

فريد بك ترجع الى اكثر من ذلك فهى راجعـــة الى الخطة التى رسمها لحزبه .. الى المبادىء التى نشرها بواسطة لسان حزبه .. الى الخطب التى القاها .. الى التأثير الذى أوجدته خطته فى نفوس أعضاء هذا الحزب »

ان حبس الرئيس فى حد ذاته لا يضره ولا يلحق بنا شيئا من الاذى ، ويكفيه ويكفينـــا ذلك العطف الذى

يقوى تياره ويضم الى الحركة الوطنيـــة قوى جديدة كما قال جورنال « دى كير » فاننا والحق يقال لو ظللنا هذه الستة اشهر نخطب بأقوى لسان ونكتب بأرهف قلم فى سبيل المبادىء الوطنيـــة لمـــا استطعنا أن نجمع حولنا جزءا من تلك القوى الجديدة التى انضمت الينا

فلتدرك الحكومة هذه الحقائق .. وحبذا لو رجعت الى الماضى لتعلم منه تأثير أمثال حكم الامس فى الشعور الوطنى ... والتاريخ يعيد نفسه ..

وأوفد الخديو الى محمد فريد وهو فى السجن عثمان غالب ليعرض العفو عليه .. فلعل محمد فريد يقبله اذا عرضه عثمان غالب بعد ان رفضه عندما عرضـــه كولس باشا مدير السجون ..

وقال عثمان غالب أن الخديو مستعد للعفو وطلب منى أن ارجوك يا فريد بك أن تقدم طلبا بذلك ، فوجه محمد فريد اللوم الى عثمان غالب وقال له :

« انا لا أطلب العفو ، ولا أســـمح لاحد من عائلتى أن يطلبه عنى .. واذا صدر العفو فلن أقبله »

وقد ذكر أمين الرافعي فى مقال له عن أسباب انقلاب عثمان غالب على الحركة الوطنية بعد فشله فى اقناع محمد فريد ، قال فيه :

ـ والآن فلنذكر للقراء سبب انقلاب هذا الشيخ ، والدافع له الى محـــاربة رئيس الحزب الوطنى بذلك السلاح الدنىء .. لمـــا سجن الرئيس فى شتاء هـــذا العام اســـتدعى الدكتور عثمان غالب الى مصر لاتخاذه آلة لمحاربة الحركة الوطنية فى مقـــابل وعده باســـناد احدى الوظائف اليه وترقية نجله ..

وكان عربون هذه المكافأة أن يستكتب فريد بك كتابا

يطلب فيه العفو عنه .. وبالفعل سمحت له نظارة الداخلية بمقابلة الرئيس فى سجنه بالرغم من مخالفة ذلك لنظام السجون اذ لم يكن مسموحا لاحد وقتئذ بزيارة فريد بك لاسيما وأن الدكتور عثمان غالب ليس من أقارب الرئيس ..

وبهذه الوسيلة قابل هذا الشيخ فريد بك مرتين ولبث معه طويلا من الزمن وهو يحسن له المطالبة بالعفو ، أو على الاقل الايعاز للجنة الادارية للحزب لتطلب العفو عن رئيسها حتى يكون فى هذا العمل اكبر اعلان على تقهقر الحزب الوطنى ومذلته فيقضى عليه شر قضاء .. ولكن الرئيس بالطبع رفض هذا الطلب رفضا باتا وبكل اباء وشمم وأبى أن يجيب ـ ذلك الصديق المخلص ـ الى بغيته .. فرجع الشيخ وهو يتعثر فى اذيال الخزى والفشل .. ولما علم بعض رجال الحزب بهذه المساعى أوسعوه لوما وتقريعا فى نادى الحزب ..

وكان حضرته فى هذه الاثناء قد أوعز اليه بكتابة طلب الى نظارة المعارف يطلب فيه أن تسند اليه وظيفة موجيل بك رئيس الارسالية المصرية بفرنسا ..

ولكن فشله فى القيام بهذه المهمة حال دون تحقيق أمنيته ولو انه لم يحل دون ترقية نجله ..

هذا سبب انقلاب ـ الصديق المخلص ـ على الحركة الوطنية وكراهيته الشديدة لرئيسها لانه لم يمكنه من نيل أمنيته التى استباح فى السعى لها مثل هذه الوسائل الدنيئة »

وعندما خرج محمد فريد من السجن ـ ١٨ يوليو عام ١٩١٩ ـ كتب مقالا رائعا تحت عنوان : «من سجن

الى سجن » .. قال فيه :

« مضى على ستة اشهر فى غيابات السجن ولم اشعر بالضيق الا عند اقتراب أجل خروجي لعلمى انى خارج الى سجن آخر ، هو سجن الامة المصرية الذى تحده سلطة الفرد ويحرسه احتلال » وقال :

« ظن اعداء حزبنا الوطنى وخشى محبونا أن يكون للحبس هذا أقل تأثير فى سير الحزب وانتشار مبادئه الحقة بين طبقات الشعب ووصولها الى أعماق قلوبه ، ولكن لله الحمد فقد برهن حزبنا أثناء اعتقالى بين جدران هذا السجن على انه حزب الوطن ، حزب الشعب ، لا يؤثر فيه موت رئيس ، كما لم يقف سيره موت مؤسسه رحمه الله .. فان حبس أو مات رئيس قام بدله رؤساء متضافرون على مؤازرته متضامنون على نصرته عاقدون العزم على الوصول به الى غايتنا وغاية كل وطنى ـ ولو كان منافقا ـ وهى الجلاء والدستور »

وقد كان سجن محمد فريد يمثل مرحلة هامة من مراحل تطور الكفاح الوطنى فى مصر .. فقد أعلن الاحتلال عزمه على استخدام كل الطرق بما فيها القوة والبطش لايقاف سير المد الشعبى الثورى الذى كان قد بلغ وقتئذ مداه بصورة لم تحدث من قبل .. حتى لقد كانت الصحف البريطانية تتساءل كما حدث فى ٦ يونية عام ١٩١٠ : هل مصر على أبواب ثورة ؟

وبدأت سلطات الاحتلال فى اثارة النعرات العنصرية واشترك معها خديو البلاد ! ! بدأت المؤامرة بذهاب قرياقص ميخائيل ـ كممثل للصحافة القبطية ـ الى لندن ، لينشر ٢١ مقالا فى موضوع الخلاف بين المسلمين

والاقباط .. وذهب بعض الذين تزعموا الحركة ـ بتأييد من المعتمد البريطاني ـ الى دار المعتمد البريطانى ذاته ـ طالبين حمايتهم من اضطهاد الحزب الوطنى..

وتبلورت المؤامرة فى صورة الاستعداد لعقد مؤتمر قبطى احتجاجا على مقتل بطرس غالى باشا ، بالرغم من ان فكرة المؤتمر كانت موجودة قبل مقتل بطرس غالى باشا ، وبالرغم من ان بطرس غالى نفسه كان ضد هذه الفكرة وفى ذلك المعنى يقول احمد شفيق باشا فى « مذكراتى فى نصف قرن » :

ـ سمعنا بفكرة عقد مؤتمر قبطى لبحث مطالب الاقباط وشكواهم قبل مقتل بطرس غالى باشا ، وقد أخذ بعض أعيان الطائفة يعمل سرا لعقد هذا المؤتمر ويبث روح السخط بين الاقباط ويصور لهم انهم مغبونون فى الوظائف والحقوق العامة وكانت جريدتى « الوطن » و « مصر » تنفخان فى هذه الروح وقد قابلت بطرس باشا وتحدثت معه فى أمر هذه الحركة وعواقبها

الخطيرة وتفريقها للأمة ، فطمأننى بأنه لا خوف منها وانه لا يسمح باستفحالها .. وقد كان بالفعل معارضا لها حتى أرسل انذارا لجريدة « الوطن » بسبب هذه الحركة .. ولما حدثت حادثة اغتياله زادت الحركة قوة وبدأ الكثيرون من الاقباط يزيدون على الكتابة فى الصحف القبطية الشكوى الى الصحافة الانجليزية .

وقد عقد بعض كبراء المصريين مؤتمرا للرد على المؤتمر القبطى اسموه المؤتمر المصرى وقد اشترك فى هذا المؤتمر المصرى الذى بدأ جلساته فى ٢١ ابريل عام ١٩١١ ، احمد لطفى السيد ، ومحمود ابو النصر ، ومحمد حافظ رمضان ، واحمد عبد اللطيف المكباتى ، والشيخ

عبد العزيز جاويش ، وابراهيم الهلبــاوى ، ومحمد ابو شادى ، والشــيخ على يوسف ، وعلى الشمسى ، وابراهيم رمزى ، وعبد الخالق مدكور ، وعمر لطفى.. وكان المؤتمر برئاسة رياض باشا ..

ويعلق الاستاذ عبد الرحمن الرافعى على عقد المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى فى كتابه « محمد فريد » بقوله :

ـ وفى غيبة ـ محمـد فريد ـ حدثت فتنــة بين المسلمين والاقباط وانعقد المؤتمر القبطى باسـيوط فى شهر مايو عام ١٩١١ ، ثم المؤتمر المصرى بمصر الجديدة فى ابريل ـ مايو ـ ردا عليه . وكان كلا المؤتمرين ـ مظهرا يؤسف له من مظــاهر الخلاف بين المســلمين والاقباط ـ وكلاهما قد اجتمع والفقيد فى سجنه ولو كان حرا طليقاً لمـا رضى بهذه المظاهرة ولنصح باجتنابها ولأمكنه أن يعيد التفاهم بين الفريقين .. ولقد قيــل وقت انعقــاد المؤتمرين ان يد الســير الدون غورست المعتمد البريطانى لم تكن بعيدة عن الدعوة اليهما.. ومما يؤيد ذلك ان جميع مواضيع المؤتمر المصرى ، والمؤتمر القبطى قد خلت من أى معارضة للاحتلال أو انتقــاد لسياسته او مطالبة له بتحقيق وعوده

وقد ذكر محمد فريد فى مذكراته ما يلى :

ـ فى أثناء حبسى شرع فى المؤتمر المصرى الذى جمعه محمد سعيد باشا بناء على رغبة السير الدون غورست لمحاربة الاقباط وبالتالى للتفريق بين الاقباط والمسلمين

وفى كتاب « تطور الصحافة المصرية » قال د. ابراهيم عبده :

ـ استطاع الحزب الوطنى ان يجتاز الصراع ويقف فى هذا التيار بمجهود العقلاء والحريصين على وحدة البلاد

الشباب المصري - بقيادة فريد - يعمل في الخارج

طبع محمد فريد رسالة باللغة الفرنسية تليت ووزعت فى باريس وليبزج وجنيف خاصة بالجرائم التى ارتكبها الاحتلال البريطانى للقضاء على التعليم المصرى والغاء اللغة العربية فى المدارس وغلق الكثير منها . وقد أوضح محمد فريد فى هذه الرسالة كيف تحولت برامج مدرستى الحقوق والهندسة الى برامج تشبه برامج المدارس الثانوية ، وكيف اغلقت جميع المدارس الثانوية فيما عدا ثلاث مدارس « اما مستوى المدارس الابتدائية فقد هبط الى مستوى الكتاتيب » كل هذا الى جانب تحويل جميع المدارس الى معامل لتفريخ الموظفين الذين يسيرون ــ بلا تفكير ــ فى تنفيذ المخطط الانجليزى .

أما فكرة انشاء جامعة مصرية فقد لبثت زمنا طويلا، وهى موضع السخرية والاستخفاف ، فلما روج الوطنيون للفكرة ، وشرعوا يجمعون المال ، لينشئوا به جامعة على حسابهم صرح اللورد كرومر ــ مع اظهار شيء من العطف التافه على المشروع ــ بأن لابد من الانتظار قليلا حتى يتحقق المشروع وكانت نصيحته لاصحاب الحركة أن يبدأوا بدراسة تاريخ الجامعات فى الاقطار الاخرى ، على ان الحركة كانت أقوى من

اللورد كرومر نفسه ، وما هو الا عام حتى رأى خلفه بحق انه « ان كان ولابد فلتكن الجامعة تحت سلطة الحكومة دون سلطة الوطنيين » .

وعلى الرغم من وجود هذه الجامعة فان الشباب المصرى كان يهرع الى الاقطار الاجنبية وخاصة فرنسا وسويسرا لانه من المشكوك فيه ان تستمر الحكومة على اهتمامها الجدى بالجامعة وان تسيرها

وفق أمانى الامة وان الطريقة التى تحولت بها مدرسة الحقوق الخديوية التى لبثت زمنا معهدا يشرف عليه مدرسون فرنسيون بارعون الى مستوي مدرسة ثانوية معتادة لنذير سوء بما عساه أن يصيب الجامعة أيضا .

وعلى ذكر مدرسة الحقوق نقول : لقد أقيل المسيو لامبير الناظر السابق لهذه المدرسة من منصبه بغلظة وفظاظة وحل محله انجليزى كان قد حصل وتتلمذ فقط على درجة علمية وهو لا يدرى شيئا عن القانون المعمول به فى مصر » ، هذا ولغة التعليم المقررة فى هذه

المدرسة وغيرها من المدارس العالية ليست العربية ، ولكن الانجليزية والفرنسية الى حد ما وذلك لانهم يقولون ان اللغة العربية ليست لغة علمية وانه لايوجد بها كتب مدرسية وافية بالغرض وانه من الصعب الحصول على أساتذة يعرفون اللغة العربية (١) »

ولم تكن جريمة المسيو لامبير ناظر مدرسة الحقوق سوى انه وقع على عريضة يطلب فيها اطلاق سراح مسجونى دنشواى . وقد انعدم الحياء عند دنلوب المشرف على التعليم فى مصر ، فجعل من مقررات المدارس

---

(١) تاريخ مصر ـ قبل الاحتلال البريطانى وبعده : تيودور روذستين

الثانوية كتبا مثل «منتخبات ارنولد» من كتاب «اديسون» وكتاب « ميكاكلارك » وغيرها وغيرها ، وكلها طعن بذىء فى الدين الاسلامى والعروبة » واللغة العربية .. هذا الى جانب توزيع قصة علاء الدين بطل ألف ليلة وليلة ، على طلاب المدارس الثانوية وبها صور عارية تماما ورسوم تمثل البطل والبطلة فى غرفة النوم .. والبطل يقول للبطلة « اخلعى ملابسك » وهى تقول له : « اخلع انت الاول » وعندما كان الطلاب يثورون على هذه الكتب كان يلقى بهم فى الشارع ، وتغلق المدارس فى وجوههم .

وعندما يرغب بعض طلاب مدرسة راس التين الثانوية بالاسكندرية فى الاحتفال بعيد راس السنة الهجرية تغلق المدرسة فى وجوههم أيضا وتفصل المدرسة ــ بأمر من دنلوب ــ عددا كبيرا من الطلبة بدعوى انهم أعضاء فى جمعية سرية ! !

ويهتف طلاب طنطا ذات مرة عند مرور الخديو ببلدتهم ، مطالبين بالدستور ، فيفصل ٢٠ طالبا فصلا نهائيا ، بدعوى انهم ايضا اعضاء فى جمعية سرية ،

والطريف ان مأمور السجن الذى ذهب الى المدرسة واخرج هؤلاء الطلبة من فناء المدرسة ليقودهم الى السجن سئل فى التحقيق عن معلوماته عن هذه الجمعية السرية ، فقال :

ــ لقد اطلعت على اخبارها بالصحف ..

وبالجملة .. كان ساسة بريطانيا فى مصر يضمون فى قلوبهم واذهانهم ما قالته كاترينا ملكة روسيا لاحد وزرائها :

ــ خذ الحيطة وكن حذرا ، فاليوم الذي يتم فيه

تعليم الشعب لا يستطيع واحد منا ـ لا انا ولا انت ـ ان يظل ثابتا فى مكانه »

ولهذا تم اغلاق كل نوافذ العلم أمام الطلاب المصريين واتجه هؤلاء الطلاب الى أوربا حتى بلغ عددهم قبيل الحرب العالمية الاولى ٧٠٠ طالب ، منهم ٤٠٠ طالب فى فرنسا وحدها .. وكانت الشبيبة المصرية لا تكتفى بأن تتلقى العلم فى أوربا فحسب ، بل كانت تبذل كل ما تستطيع من جهود ووقت وأموال للعمل من أجل استقلال مصر ، وامتد نشاط هؤلاء الطلبة الى الهند والتحم كفاحهم بكفاح الشعب الهندى للعمل من أجل اخراج بريطانيا من مصر والهند ، وكان هؤلاء الشباب ذوى شخصيات قوية حتى ان المفاوضات التى كانت تجرى بين محمد فريد والخديو عباس فى بداية الحرب العالمية الاولى من أجل الصلح ، كان يقوم بها أحد هؤلاء الشباب .. وقد أنشئت جمعيات كثيرة فى كل المدن الاوربية التى بها طلاب مصريون مثل لندن وباريس وجنيف وآدنبره وليبيج وغيرها للدعاية للقضية المصرية واكثر من مرة حاولت بريطانيا ، كما حاول الخديو عباس استمالة هؤلاء الطلبة فلم يستطع وقد استطاع هؤلاء الشباب ان يثيروا قضية مصر فى البرلمان الفرنسى عن طريق مارسيل كاشان زعيم الحزب الاشتراكى ورئيس تحرير جريدة « الاومانيتيه » والاستاذ باركيسو رئيس فريق اليسار فى حزب حقوق الانسان واستطاع هؤلاء رغم الرقابة المفروضة عليهم ورغم قلة مواردهم ان يطبعوا مذكرات عديدة ، وكتبا كثيرة عن مصر ، وقضية مصر ، وكان هؤلاء يبيعون كتبهم وملابسهم للانفاق من ثمنها على مشروعاتهم ، كما

كان البعض يعمل فى المصانع كعمال ، ليتيسر لهم الحصول على المال للانفاق منه على قضيتهم الاولى ، وكان محمد فريد يعرف هؤلاء الطلاب واحدا واحدا ، ويزورهم فى اماكن دراستهم وفى كثير من الاحيان كما روى لى الاستاذ خليل مدكور الذى عمل فترة طويلة سكرتيرا لمحمد فريد ، والذى كان يطلب العلم فى اوربا وعمل بدوره فى كثير من المصانع هناك ، ان محمد فريد كان يزور هؤلاء الطلاب ويهدى اليهم مسدسات على اعتبار انها ساعات سويسرية ، وكان ابراهيم الوردانى ، وشفيق منصور يزوران هؤلاء الطلاب لتجديد العهد كل عام ، كما كان هؤلاء الشباب يتدربون على استعمال الاسلحة والمفرقعات فى المناطق الجبلية فى فرنسا وسويسرا وهولندا وبلجيكا. ولم يكن هؤلاء الطلاب يكتفون فقط بالعمل السياسى العام بل لقد كانوا يهتمون اهتماما كبيرا بالمسائل الاقتصادية وكانوا فى الاجازات يعودون الى مصر ، لينشئوا النقابات العمالية ، والمدارس الليلية ، والاندية الثقافية .

ومن مجموعات الخطابات السرية التى ارسلها هؤلاء الشباب الى والدهم الروحى محمد فريد ، تعرف كل شىء عن هؤلاء الشباب – شباب امس الاول وزعماء الامس – منهم من جلس فى اسمى المناصب ، ومنهم من صعد الى المشانق ، وبعضهم الآخر ابتلعه الزمن ضمن ما يبتلعه من جنود مجهولين .. لقد ذهب هؤلاء جميعا وبقى تاريخهم المضىء الذى اشعل النار والنور لفترة طويلة من تاريخ مصر .. لقد اختلفت وسائلهم فى العمل لخدمة مصر ، فمنهم من استخدم المسدس والقنبلة

والمدفع ومنهم من آثر القلم واللسان ، وبعضهم عمد الى القول الجهير ، وبعضهم مال الى الصمت ... ولكنهم جميعا كانوا من خيرة أبناء مصر ..

وفى كل المرات التى سافر فيها محمد فريد الى اوربا للدعاية للقضية المصرية كان الشباب يقوم بواجبه فى تنظيم المحاضرات والاجتماعات التى كانت تعقد فى هذه المناسبات ليتولى محمد فريد شرح الجوانب السياسية الخاصة بالقضية المصرية لجماهير الشعوب الاوربية .

وكان من ابرزجمعيات الشباب المصرى التى ساهمت بجهد كبير فى خدمة القضية المصرية فى آوربا جمعية ابو الهول المصرية ـ مدينة ليبزج ـ ومن افرادها ابراهيم فرج ، وحمزة محمود ، وابراهيم صبرى ، ومحمد على الطوبجى ، وحسن نور الدين ، وعبدالحليم متولى ، وحنين مرقص ، وعبد الغفار متولى . وكذلك جمعية الطلبة المصرية فى جنيف ـ أبو الهول ـ والنادى المصرى ـ لندن ـ وقد نظمت جمعية أبو الهول ـ فى جنيف ـ بمساعدة زميلاتها بالعواصم والمدن الاوربية الكبرى مؤتمرا للشبيبة فى يوليو عام ١٩١٤ اشترك فيه محمد فريد وعبد العزيز عمران ويحيى الدرديرى والسيد عبد العزيز خضر وعثمان زاهر ونجيب حسين الجندى وعباس الجندى ومحمد طلعت واسماعيل حقى وعبد الرحمن عزام ومصطفى عمرو .. وفى هذا المؤتمر تقرر ان يروض الطالب المصرى نفسه على النظر الى الاشياءوبحثها على حقيقتها، وأن يتعود على قراءة التاريخ كما تقرر الاكثار من الاناشيد الوطنية وتلحينها ونشرها ووضع روايات

وطنية لاظهار الشخصية المصرية ، وقد قرر المؤتمر أيضا الاحتجاج على وجود الاحتلال والمطالبة بجلاء القوات البريطانية ..

وفى مذكرات محمد فريد اشارة الى تعيين الحكومة المصرية بعض موظفيها فى الخارج لمراقبة الطلبة الذين يدرسون خارج البلاد كتب محمد فريد عن وظيفة مراقبة الطلبة فى الخارج :

ـ تلك الوظيفة التى لم تفكر فيها الحكومة الا بعد هجرتى من مصر ومن غريب ما وصل الى علمى انه لما قابل هؤلاء المعينون اللورد كتشنر ليزودهم بنصائحه الغالية قال لمراقب جنيف ان مهمته ستكون شاقة نوعا ما . فظن احمد فهمى العمروسى ان اللورد يشير الى وجودى بها فأجاب :

ـ لا ، بل مركزى انا ، لان فريد يقيم الان بباريس وكنت بها فى ذاك الوقت فعلا فضحك اللورد ..

وقال محمد فريد أيضا :

قابلت العمروسى وعاتبته على قبول هذه الوظيفة التى اساسها الجاسوسية على سير الطلبة من الوجهة السياسية ليس الا .. مع انه كان ناظرا للمدرسة التجارية العليا بمصر فاعتذر بأنه موظف ولا يمكنه رفض ما تعينه فيه الحكومة ثم دافع قائلا :

ـ انه لا يتجسس ولا يقبل ان يكون جاسوسا ..

واضاف فريد :

ـ وسنرى عمله فيما بعد لنحكم عليه بما يستحق

واشار محمد فريد فى مذكراته الى احتجاج الطلبة المصريين الذين يدرسون باوربا على قانون الجمعية التشريعية الجديد .. كما اشار الى ما كتبته بعض

الجـرائد المصرية بمناسـبة المؤامرة الوهمية ضـد كتشنر وما ذكره كتشنر حول جهود فريد فى بث روح الثورة بين الطلبة .

وفى مكان آخر من المذكرات يقول محمد فريد :

ـ وصلنا ليبزج الساعة ٨ صباحا ، وكان فى انتظارى الطلبة فرافقونى الى الفندق حيث حجزوا لى غرفة جميلة ، ثم اخـذت فى تنسـيق الحفلة وتحضير ما سيقال ويلقى . وفى مساء الاحد ١٢ مايو تمت الحفلة على احسن نظام وكان النجاح باهرا حيث حضر الى الحفل نحو الف شخص تقريبا .. واسندت الرئاسة الى عبد الحليم افندى متولى وخطب اخوه عبد الغفـار والمسيو ديمورنانت ـ استاذ العلوم التجـارية ـ وانا وكتبت جريدة « الموز » تلخيصا عن الحفلة ونشرت بعض اجزاء من الخطب .. وبالاختصار كانت النتيجة سارة للغاية .. ثم سافرت فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاربعاء ١٣ منه الى جيملاوا بناء على دعوة من طلبة مدرسة الزراعة بها وقضيت الليلة هناك .

ووصلت الى لندن الساعة العاشرة من مساء الجمعة ونزلت فى فندق « ايديال » ضيفا على طلبتها .. وفى يوم السبت ١٦ منه اجتمعت الجمعية العمومية لنـادى الطلبة المصريين تحت رئاستى وناقشت القـانون ، ثم صدقت عليه .. وانتخبت عبد الحليم افنـدى حلمى رئيسا ، واحمد زكى أبو شادى سكرتيرا ، وعباس طلعت صبور أمينا للصندوق .

ويقول محمد فريد :

● اتفقت أثناء هذه الرحلة مع هذه الجمعيات عـلى عقد مؤتمر للطلبة بمدينة جنيف فى أواخر يوليو القادم

● دعتنى جمعية الطلبة بليون لحضور وليمة تقيمها يوم الجمعة ٢٩ مايو تدعو اليهـا أسـاتذة الجامعات وبعض المحـامين ورجال الحـكومة · وقـد ذكرت فى تـذكرة الـدعوة آن الـوليمة مقـامة اكراما لى بمناسبة وجودى بمدينة ليون .. فسافرت الى ليون يوم الاربعاء الموافق ٢٧ منه فى الساعة الواحدة بعد الظهر فوصلتها فى الساعة السادسة مساء .. اى فى السـابعة حسب التوقيت الفرنسي ونزلت فى فنـدق جيلوب واجتمعت بالطلبة أيام الخميس والجمعة وتمت الحفلة على غاية من الابهة والجلال وقد حضرها ١١٦ مدعوا من بينهم نحو ٢٠ من الطلبـة وحضرها شـيخ المدينة وأحد وكلائه والقيت خطب كثيرة فى تشجيع الحركة الوطنية .. وقـد نشرت الجرائد فى ٢٠ منه ملخصا عما دار فى الحفل ، عطفا علينا وعلى حركتنا ، ثم غادرت ليون يوم الاحد الساعة الثانية عشرة .. فوصلت جنيف فى السـاعة الرابعة حسـب التوقيت الفرنسي ، وسنشـتغل من الان فى تحضـير مؤتمـر الشبيبة الذى اتفق مبدئيا على جمعه فى أواخر يوليو

وأشار محمد فريد فى مذكراته (٢٤ فبراير ١٩١٤) الى المأدبة المصرية التى أقامها السـيد دسـوقى بضواحى لندن ·· وكان المدعون نحو ٤٠ شـخصا من خيرة الشبيبة « فتناولنا طعاما مصريا طهاه الشـبان أنفسهم .. وقبل تناول الطعام وفى أثنائه تحدثنا كثيرا عن ضرورة تأسيس ناد للطلبـة وعينا على الفور لجنة لتنفيذ المشروع وقررنا ان كل عضو يدفع مبلغ نصف جنيه على الاقل لمصاريف التأسيس ، وكذلك كل عضو يريد الاشتراك يدفع مثل هذا المبلغ ، وقد وعدتهم بالعودة

فى شهر ابريل لافتتاح النادى بنفسى »

وتحدث محمد فريد عن سفره بعد ذلك الى اكسفورد « حيث كانت الجمعية المصرية مدعوة فحضر اعضاؤها كلهم وحضر بعض الهنود المسلمين لزيارتى ، وخطب كثير من الطلبة فى واجبات الوطن وفى ضرورة تخليص البلاد من المستعمر ، وكان يتخلل الخطب مدحى وتشجيعى على تحمل الالام والاغتراب. وآخيرا خطبت فيهم بما يناسب المقام .. ثم رافقنى الجميع الى المحطة عند عودتى الي لندن »

واشار محمد فريد الى توديع مائة طالب له فى محطة لندن ، وقال عن رحلته الى الطلبة المصريين « كانت نتيجة هذه الرحلة باعثة على الامل وزيادة العمل لربط الطلبة ببعضهم وجمع مؤتمر من مندوبيهم .. واصبح هذا الامر محققا تقريبا ..

واشار الى زيارته باريس مباشرة بعد لندن وحضوره اجتماع جمعية الطلبة المصريين .. فقال :

ـ دعيت لرئاسة الجلسة وكان موضوعها « الزواج فى مصر » وكان الخطيب عبده افندى البرقوقى .. وبعد انتهاء الخطبة والمناقشة فى بعض نقاطها ، تكلمت معهم فى ضرورة تأسيس جمعية أبى الهول بباريس .. فوافق كثيرون منهم ووعدونى بتأسيسها فى أقرب وقت »

ومافعله محمد فريد تجاه الطلبة المصريين بباريس قام به تجاه الطلبة المصريين فى كل انحاء أوروبا. لقد أدى الشباب المصرى الذى كان يتعلم فى أوروبا قبل الحرب العالمية الاولى ـ دورا رائعا فى خدمة بلده .. وكذلك يستطيع الشباب دائما ان يفعل فى كل زمان ومكان .

محمد فريد ..
ونقابات العمال .. والفلاحين ومؤتمرات السلام

اندفعت الحركة الوطنية بقيادة محمد فريد الى العمل الشعبى بكافة صوره توقظ الشعب وتعلمه وتثقفه وتجمع صفوفه ، وكان ابرز ما تميزت به قيادة محمد فريد الاهتمام البالغ بالفلاحين والعمال وتشكيل النقابات والروابط والاندية العمالية والدعوة الى منع استغلال العمال والفلاحين .

بدأت الحركة الوطنية بتأسيس مدارس الشعب .. وكانت أول مدرسة من هذا النوع فى بولاق ، بدأت فيها الدراسة فى نوفمبر عام ١٩٠٨ ، وألقى الاستاذ احمد لطفى الدرس الاول وكان عن الشئون الاجتماعية .. وكان برنامج هذه المدارس يتناول القراءة والكتابة ودراسة الدين والصحة والاحتياطات العامة والعناية بتربية الاطفال والمعاملات والشئون الاجتماعية والحساب وتاريخ مصر والتاريخ الاسلامى وجغرافية مصر والاخلاق والاداب « وقد تطوع الشباب وأعضاء الحزب الوطنى لتدريس هذه المواد والقاء الدروس الليلية على العمال وبلغ عدد المدارس التى أنشأها الحزب عام ١٩٠٩ لتعليم العمال مجانا اربع مدارس فى احياء : الخليفة ، وبولاق ، وشبرا ، والعباسية تحوى كل منها نحو مائة وعشرين تلميذا من مختلف الحرف

وانتشرت هذه المدارس فى عواصم القطر وقد ساهم نادى المدارس العليا فى هذه الحركة اذ ألف لجنة لنشر مدارس الشعب وتولى اعضاؤه التدريس فيها »

ومما قاله محمد فريد في خطبة له بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩١٠ « يجب ان يكون قصدنا جميعا الوصول الى جعل التعليم الابتدائى الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية . اقول مجانيا لانه لا يمكن التوفيق بين الالزام ودفع اجر على التعليم ولان جعله مجانا للفقراء وبأجر للاغنياء فيه جرح لعواطف الفقراء من التلاميذ . فالديمقراطية الحقة والمساواة الحقيقية تقضيان بأن يكون التعليم الابتدائى مجانا لجميع طبقات الامة فقيرها وغنيها بلا تمييز »

وعنى الحزب الوطنى بتأسيس نقابات للعمال لترقية حالتهم المادية والمعنوية ، فأنشئت فى بولاق أول نقابة للعمال فى مصر باسم «نقابة عمال الصنائع اليدوية» ووضع الحزب قانونا لها من خير القوانين التى وضعت لنقابات العمال واتخذ لها مقرا بالسبتية تجاه مدرسة عباس وكان أول رئيس لهذه النقابة على ثروت بك ناظر مدرسة الصنائع بالمنصورة سابقا وقد ازدهرت النقابة وبلغ عدد أعضائها فى عام ١٩٠٩ نحو ثمانمائة عضو عدا الاعضاء المساعدين من غير العمال وحفل مقرها بالمحاضرات القيمة وسرت فكرة تأسيس النقابات فى العواصم فأنشئت نقابات لعمال المصانع اليدوية فى الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها ، على مثال نقابة القاهرة . وكانت صحف الحزب الوطنى تقف باستمرار الى جانب العمال

كتبت جريدة « اللواء » بتاريخ ٢١ أكتوبر عام ١٩٠٨

مقالا تحت عنوان : « اعتصـــام عمال شركة الترام ـ اهانة الطلبة » قالت فيه :

ـ الاعتصام حق من حقوق العمـــال يعمدون اليه عندما يصيبهم أصحاب رؤساءالاموال بأذىلايستطيعون عليه صبرا • وقد لجأ عمال الترام فى مصر الى استعمال هذا الحق لمـــا رأوا الشركة تسىء معـــاملتهم وتهضم حقوقهم وتغبنهم غبنـــا فاحشـــا . قابل المـــلأ هـــذا الاعتصام بالارتياح لما كانوا يعلمونه من معاكسة الشركة لهؤلاء العمـــال معاكسة دفعتهم الى استعمـــال هـــذه الوسيلة التى لا يؤاخذهم احد على الالتجاء اليها حيث انها الطريقة الوحيدة التى يستطيعون بها الحصول على حقوقهم المهضومة وقد اعجب الناس بهذه الحركة أيما اعجاب عندما رأوا العمال متذرعين بالسكينة وملتزمين الرزينة فلم يسمع لهم جلبة ولا ضوضـــاء ولم تسند اليهم تهمة تعد ، ولم يخلوا بقانون او لائحة • ولم يكن اعجاب النـــاس بهـــذا الامر أقل من اعجابهم بموقف الحكومة ازاء هذه المشكلة فانها لم تعمل على التوسط بين الشركة والعمـــــال حتى يحسم الخـــــلاف ويرأب الصدع بل انها عمدت الى مساعدة الشركة بكل الوسائل فأوعزت الى رجال البوليس بمطاردة العمـــال مطاردة المجرمين ومعاملتهم معاملة الجانين ، فأخذوا يهجمون عليهم فى مخـــازن الشركة ويصـــوبون عليهـــم افـــواه المضخات ويسوقونهم على الارض ويزجونهم فى السجون

وقد مثـــل رجال البوليس فى الجيـــزة فصـــلا من فصول هذه الرواية المحزنة وتمـــدت معاملتهم السيئة الى بعض الطلبة فأهينوا اهانة شنيعة وعوملوا معاملة لا يعاملها اسفل الطبقات فى الامم البربرية والى القراء

تفصيل هذا الحادث المحزن :

احتل عمال الترام مخزن الشركة فى الجيزة ورقدوا على الشريط وبين المركبات وأمامها فأراد رجال البوليس استعمال القوة لاخراجهم من المخزن وكان على مقربة من مكان الحادث بعض طلبة مدرسة الزراعة فحركتهم الشفقة الانسانية الى التدخل بالحسنى بين رجال البوليس والعمال فكبر على رجال الامن هذه الجراة من الطلبة وأوسعوهم اهانة وصوبوا عليهم افواه المضخات حتى اصبح الطلبة فى حالة يرثى لها .. هذا ملقى على الارض وذاك غريق فى مياه المضخات والاخر يتأوه ويتأفف مما عليه من الملابس التى نفذ منها الماء الى جسده .. وبالجملة كان المنظر مؤثرا والحالة محزنة .

واننا لا ندرى ما قيمة الطالب فى نظر رجال البوليس وكيف يخولون لأنفسهم معاملته معاملة فرد من احط الطبقات واسفلها »

وعند انشاء النقابة الزراعية الاولى فى مصر كتب امين الرافعى فى جريدة « اللواء » فى ٢٣ يناير عام ١٩١٠ ما يلى :

« النقابة الزراعية الاولى فى مصر »

— اصبحنا نشعر بحاجة البلاد الى وجود نقابات زراعية تضمن للفلاح مستقبله الزراعى وتحميه من جشع المرابين الذين يتخذون من ضعفه وسيلة لابتزاز أمواله وتعمل على ترقية الزراعة التى هى اساس ثروة البلاد .. اصبحنا نشعر بهذه الحاجة واخذ الداعون الى انشاء هذه النقابات وفى مقدمتهم حضرة العالم العامل

عمر لطفى بك يطوفون البلاد ويبثون هــذه الفكرة بين المزارعين .. ونحن يسرنا ان تجد هــذه الدعوة موقع الاجابة من القلوب ويتضافر القوم على تحقيق هــذه الفكرة الجليلة واخراجها الى حيز التنفيذ .

● يسرنا ان نزف للمزارعين بشرى تهتز لها القلوب فرحا ، وهى انشاء نقابة زراعية وذلك فى بلدة شــبرا النملة فقد توجه اليها سعادة عمر لطفى بك اول امس وقام بعمل عقد ابتدائى بين كثيرين من اهل هذه البلدة حتى تصدق الحكومة على القانون الخاص بالنقــابات الزراعية .

● يسرنا ان نزف لقراء « اللواء » هــــذه البشرى فانهــا خير فاتحة لنجاح ذلك المشروع الجليــل الذى يستفيد منه الفلاح فائدة ترفع من شــانه وتضمن له مستقبــله وتكون له خــير عون على الافات الزراعيــة والمرابين والمفالين وتجعله فى مصاف اخوانه الفــلاحين بالبلاد الاخرى

● وفى يوليو عام ١٩٠٨ طالب محمد فريد فى مقال له نشر فى جريدة « الديلى نيوز » البريطانية بوضع قوانين لحماية العمال قال فيه :

● لا يوجد بمصر قوانين خاصة ، حتى الآن لحماية العمال ولا قوانين تحدد سنهم ولا عدد الساعات التى يجب ان يمضوها فى العمــل .. فنجد العمــال مثقلى الــكواهل بلا رحمة وخصوصا عمــال الدخان وعمــال حلج القطن حيث يشتغل الاطفال ذكورا واناثا .

وتحدث محمد فريد مرة أخرى عن الحركة التعاونية ونقابات العمال ونادى بالعناية بنقــابات العمــال وبث مبدأ التضامن بينهم والدفاع عن حقوقهم واستصدار

القوانين التى تضمن لهم عدم التكفف عند الشيخوخة او عقب الاصابة بما يمنعهم من الكسب .. ثم قال :

ـ نرى الان العامل الماهر اذا سقط من شاهق او اذا قطعت يده مثلا يطرده مستخدمه دون ان يرتب له شيئا يقوم بأوده ودون ان يجد من الحكومة عونا ونصيرا كما يجد اخوه الاوربى بل ولا يجد نقابة تساعده على تربية اولاده فيسأل الناس سرا وعلانية ويذهب ضحية هذه الفوضى ، ولا راحم ولا معين ولا مخلص للعامل من هذا الجحيم الا النقابات فتعالجه اذا مرض وتصرف له الادوية اما مجانا او بثمن قليل واذا مات ساعدت على تربية اولاده واذا اصيب بما يمنعه من الكسب رتبت له ما يقيه ذل السؤال مقابل قليل من المال يدفعه شهريا

وعندما اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطنى فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٠٨ تحدث محمد فريد عما قامت به الحركة الوطنية تجاه الاحوال الزراعية والنقابات الزراعية والعناية الصحية بالفلاح وتأمينه على نفسه وماله ومحصوله .

وعندما اجتمع المؤتمر الوطنى فى ٧ يناير عام ١٩١٠ فى دار جريدة « اللواء » تحدث محمد فريد عن الفلاح المصرى الذى يتحمل اكبر جزء من الميزانية المصرية « فكلكم تعلمون ان لجان تعديل الضرائب جعلت اساس تقديرها ان تكون الضريبة بنسبة ٢٨ فى المائة من الايجار بحيث لا يزيد ما يدفع عن الفدان عن ١٦٤ قرشا . ولكن من الغريب ان التجار لا يدفعون شيئا وكذلك المصارف واصحاب الاموال المنقولة على العموم فمن اشترى بجميع امواله اسهما من البنك العقارى او

الاهلى مثلا لا يدفع للحكومة شيئا فى حين ان الفلاح الصغير الذى يملك قيراطا او فـــدانا يدفع ثلث ايراده واذا نقص المحصول أو اتلفته الدودة باع ماشيته لدفع غائلة الصراف ومنعه من بيع ملكه تسديدا لمال الحكومه الذى يبدد باليمين والشمال »

وطالب محمد فريد الكتاب والخطباء ان يشرحوا للرأى العام مدى ما يصيب الفلاح من الظلم الفادح فيحمله ما يقصم ظهره من الضرائب وحتى يمكن اعضاء الشورى ان يجعلوا لهذه المسألة نصيبا من اهتمامهم وقت درس الميزانية للعام المقبل ١٩١١ ، « ويجب على المشتغلين بتشكيل النقابات الزراعية ان يهتموا

بايجادها حتى تشتغل بتخفيف الضرائب عن الاطيان وتحسين حالة الفلاح المسكين الذى يكد طول عامه هو وزوجته وأولاده ولا يحصل الا على القوت الضرورى من الذرة واذا نقص محصول القطن عن سداد ما عليه من الايجار اخذ منه محصول الذرة كله او بعضه ..

فانظروا الى هذا التعس الذى عليه اساس العمران بمصر والذى لم تتغير حالته المعيشية بل هى حياة بؤس وشقاء وجهل لا يماثله فيها فلاح آخر ، الفلاح المصرى اتعس فلاح فى العالم اتعس من الفلاح الروسى الذى يضرب بشقائه المثل ولا خلاص له من هذه الحالة

الا بنشر التعليم الابتدائى وجعله اجباريا وبتشكيل نقابات زراعية للدفاع عن حقوقه امام الحكومة وامام الملاك الذين يزيدون الايجارات بمناسبة وغير مناسبة وأمام المرابين الذين يأخذون منه ما يبقى لهم بعد جشع الملاك وظلم الحكومة »

وقال محمد فريد ايضا :

ـ العمال فى بلادنا مهملون كالفلاح فلا قانون يلزم المقاول بدفع تعويض لمن يموت شهيد عمله أو يفقد احد أعضائه فيصبح عديم الكسب ومن الامثال العامة ان « الفاعل ديته اجرته » ولم تفكر الحكومة فى الدفاع عنه فهى كما قلنا وقررنا لا تهتم الا بدفع فوائد الديون وهى شبه شركة لاستغلال وادى النيل .. فنقابات العمال قوة هائلة تخضع لها الحكومات وتطأطىء راسها امامها . ولقد أصبح حزب العمال فى انجلترا من الاحزاب المسموعة الكلمة ممن كرسوا حياتهم لخدمة هذه الطبقة من الاهالى مثل المستر كيرهاردى واخوانه وبفضل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين فى انجلترا وفرنسا والمانيا تضمن لكل من يعمل فى الصناعة او الزراعة معاشا سنويا متى بلغ سنا معلومة ولم يكن لديه ما يسد به الرمق ويمنعه من التكفف . ولقد كان هذا القانون بانجلترا هو الباعث على تغيير اساس ربط الضرائب وتحمل جزء عظيم لاصحاب الاموال من اللوردات والاغنياء ونشأت عن ذلك هذه الازمة المالية الاقتصادية التى ربما جرت الى الغاء مجلس اللوردات أوعلى الاقل جزء عظيم من اختصاصاته كل ذلك بفضل العمال ونقاباتهم ومجهوداتهم .. ولا سبيل لايجاد مثل هذه الحركة المباركة فى مصر حتى يصبح العامل والمزارع فى مأمن من الفقر والتكفف ضد الشيخوخة أو المرض أو لتحسين حالته المعيشية الا بالاكثار من فتح المدارس الليلية فى المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم اهمية النقابات وشركات التعاون ولقد بدأ حزبنا المبارك فى تنفيذ هذه الفكرة فأنشأ فى العاصمة أربع مدارس للصناعة فى

أحياء الخليفة ، وبولاق ، وشبرا ، والعباسية تحوى كل منها نحو مائة وعشرين تلميذا من حرف مختلفة . فنجد النجار بجانب صانع الاحذية وقاطع الاحجار بجانب الطباخ .. وهكذا كلهم متشوقون للتعليم باذلين جهدهم فى التحصيل حتى ان الطالب منهم ليتمكن من القراءة والكتابة فى اقل من ستة شهور وقد انتشرت هذه الحركة فى كثير من مدن القطر والقرى بفضل المخلصين العاملين من رجال الحزب الوطنى ومن غيرهم ولم يكتف أنصار العمال بذلك بل أسسوا بقسم الخليفة جمعية للخطابة تعقد جلساتها مساء كل يوم خميس ليخطب فيها المعلمون والعمال بأنفسهم بعبارة تكاد تكون صحيحة . ولقد حضرت احدى هذه الجلسات مع بعض الاخوان وسمعنا ما القاه اثنان من اعضائها وهما من صانعى الاحذية وكان كلامهما دائرا على وجوب اتقان الصناعة لمزاحمة الاجانب وسنسعى فى عامنا هذا الجديد فى تعميم هذه المدارس والجمعيات فى جميع اقسام المحروسة وقال محمد فريد

فعليكم بنشر مبادىء التعليم بين هذه الطبقة التعسة وتأسيس المكاتب الليلية ومساعدة النقابات بأموالكم وآرائكم ، وعلى رجال الشبيبة الحرة التبرع بالقليل من وقتهم فى القاء الدروس والمحاضرات النافعة فى هذه المدارس والجمعيات حتى يترقى العامل الفقير ويدرك ان له حقا فى ان يعيش بمشيئته لا كعيشة البهائم ..

وقال محمد فريد :

« ارجعوا البصر الى حال العمال فى مصر ، سواء عمال المصانع أو الزراعة واقصد بهم جماعة الفلاحين

الذين لا يملكون ارضا ويعيشون من العمل باليومية او من استئجار الاراضي وانظروا الى تحكم الشركات الاجنبية مثل شركات الترام والسكك الحديدية وما شاكلها فى العمال وانظروا الى الفلاح المستأجر والى ما يفرضه عليه مالك الارض من الايجار الباهظ تجدوا انهم فى اخطر درجات الفقر فالعامل لا يحصل على قوت يومه الا بعد ان يشتغل اثنتي عشرة ساعة كل يوم على الاقل والفلاح لا يصل الى ما يسد الرمق من اردأ انواع الخبز بلا ادام الا بشق الانفس كل ذلك ناشيء من فقدان مبدأ الاجتماع والتضامن بينهم واهمال اغنياء البلد كل ما يتعلق بأمورهم الخاصة وعدم التفات الحكومة الى ترقية شأن العامل والفلاح . والاحتلال يريد ان تبقى هذه الطائفة كقطيع الغنم يؤمرون فيطيعون عائشين عيشة السائمة جاهلين حقوقهم وحقوق بلادهم ولا دواء لهذا الداء العضال الا بالدستور فارفعوا صوتكم وابحثوا عن طرق الحصول عليه والا فلا امل فى تحسين هذه الحالة التى تسير من سيء الى اسوأ وستنزل بالامة الى الدرك الاسفل من الاستعباد والاسترقاق » .

وكان اهتمام محمد فريد بمشاكل العمال والفلاحين وسعيه المتواصل لضم صفوفهم وتوحيد جهودهم من أبرز مظاهر الحركة الوطنية . وكانت وسائل محمد فريد لتحقيق الاهداف الوطنية كما قال الاستاذ احمد بهاء الدين فى كتابه « أيام لها تاريخ » ..

« تعلم الشعب على قدر الطاقة ليكون اكثر بصرا بحقوقه وتكتيله فى تشكيلات ليكون اكثر قوة وارتباطا ثم توجيهه الى هذه الاهداف فى قوة متدرجة

منظمة راسخة » . لقد انشأ محمد فريد مدارس ليلية فى الاحياء الشعبية لتعليم الاميين الفقراء مجانا وعهد بالتدريس فيها الى رجال الحزب الوطنى وأنصاره .. وأنشأ أول الامر أربع مدارس فى أحياء بولاق والعباسية والخليفة وشبرا ، ثم انتشرت مثيلاتها فى الاقاليم ووضع فريد أساس حركة النقابات فأنشأ أول نقابة للعمال فى عام ١٩٠٩ وهى نقابة عمال الصناعات اليدوية ووضع لها قانونا وأنشأ لها مقرا

وكتب عبد اللطيف حمزة فى كتابه « المقالة الصحفية فى مصر » جزء ٨ يقول :

ـ فى عام ١٩٠٨ نجح عمال الدخان بعد اضرابات كثيرة قاموا بها فى أن يؤلفوا لانفسهم نقابة ينتمون اليها ويعملون بتوجيهها وحذا حذوهم فى ذلك عمال الترام ثم تألفت نقابة ثالثة من أصحاب الصناعات اليدوية فى عام ١٩٠٩ ولم يكن من الغريب ان نجد الحزب الوطنى يتنبه منذ يومئذ الى خطورة هذه الطبقة الجديدة التى ظهرت فى المجتمع المصرى وهى طبقة العمال واخذ يشجعهم فى الحركات التى قاموا بها ضد الشركات والمؤسسات ومن ذلك التاريخ ارتبطت الحركة العمالية فى مصر بالحركة الوطنية وحركة التحرير القومى

وكتب امين عز الدين فى كتابة « تاريخ الطبقة العاملة فى مصر » يقول :

ـ كما شهدت هذه الفترة أيضا تشكيل اول نقابة لعمال الترام باسم جمعية عمال ترام القاهرة فى ٨ مارس عام ١٩٠٩ فكانت الوريث التاريخى للجمعية التى قادت اضراب عام ١٩٠٨ ونعتقد انها تبددت أو أصيبت بالجمود فى اعقاب الاضراب ومن المؤكد ان رجال

الحزب الوطنى البارزين قد اسهموا فى تشكيل هـذه الجمعية الجديدة واختير من بينهم أعضاء شرف بها مثل عمر لطفي واحمد لطفي وغيرهما . وشهد عام ١٩٠٩ أيضا نشاطا كبيرا للحزب الوطنى وسط عمال السكك الحديدية وخاصة عمال العنابر .. ففى ٣ اكتوبر عام ١٩٠٩ افتتحت نقابة الصناعات اليدوية وليدة الحزب ـ نادى السبتية ـ واتخذته مقرا لنشاطها ، وكان عمال السكك الحديدية يشكلون القطاع الاكبر من عضويته حتى لقد اطلق عليه نادى السكك الحديدية ولعب هذا اللقاء بين الحزب وعمال المرفق دورا هاما فى دفع العمل الجماعى فى صفوفهم

وعندما اعلن عمال الترام اضرابهم الكبير فى ٢١ اكتوبر عام ١٩٠٨ الـذى استخدمت فيه سلطات الاحتلال كل ما تملك من قوة من بينها جر العمال بالحبال ومطاردتهم بالفرسان والقبض على اكثر من مائتى عامل وزجهم فى السجون وتقديمهم للمحاكمة وصدور احكام ضدهم • عندما قام هذا الاضراب كشف عن مواقف سياسية متباينة من الاحزاب الوطنية وصحافييها

فالحزب الوطنى ـ جريدة « اللواء » ـ ناصر العمال مناصرة كاملة الى حد جعل خصومه السياسيين يتهمونه بتدبير الاضراب قبل اعلانه بأيام .. فقد نشرت جريدة « المؤيد » فى ١١ اكتوبر عام ١٩٠٨ تحت عنوان: « اشاعة اعتصام عمال الترام »

« جاءنا التلغراف الاتى امس من محطة مصر يكذب ما نشر امس فى بعض الجرائد من ان محمد فريد بك واحمد افندى حلمى شكلا عصابة من مستخدمى الترام للاعتصام يوم تشريف الجناب العالى اذا لم تجب

الشركة ما يطلبونه .. ونصرح على رؤوس الاشهاد انه ليس لنا ادنى اتحاد مع رجال حزب الفوغاء الطائش فان غاية جمعيتنا وشعارها الحق والدفاع عن حقوق المظلومين بلا تدخل فى السياسة والدين ..

توقيع : رئيس جمعية الدفاع عن حقوق العمال »

● ولكن هذا التكذيب لا يمكن ان يمس موقف العطف والتأييد الذى اتخذته جريدة « اللواء » تجاه مطالب العمال واضرابهم ومتابعتها احداث الاضراب ونشرها ايرادات الشركة خلال عامى ١٩٠٧ — ١٩٠٨ والتي بلغت ٦ر٧٧٣ر٧٧٢ فرنكا بزيادة ١١٠ر٦٨٠ فرنكات عن العام السابق ..

وعن دور الصحافة قال امين عز الدين :

— تصدت جريدة الحزب الوطنى للدفاع عن العمال الذين يتحول عرقهم ذهبا فى يد صاحب العمل وشرعت جريدة « المقطم » لسان حال الاحتلال تحذر من حركة الطبقة العاملة وتلوم الحكومة على غفلتها عن خطورة هذه الطبقة . « فماذا يمنع ان يدبر العمال المكائد والمؤامرات ليضربوا فى البلاد نيران الثورات قبل ان تعلم الحكومة بأمرهم »

هذا ولا يشك كثير من الباحثين فى تاريخ الحركة النقابية مثل جان فاليه والمرحوم محمد حلمى ابراهيم والدكتور حسين خلاف فى ان الحزب الوطنى كانت له يد فى تنظيم هذا الاضراب وتحريكه .

وفى ٨ مارس عام ١٩٠٩ وبفضل معونة الحزب الوطنى ورجاله انعقدت الجمعية العمومية لعمال ترام القاهرة وحضر الاجتماع بعض الاعيان ونحو مائتى عامل من عمال الترام وتم انتخاب ادريس راغب وعمر لطفى

واحمد لطفي واغلبهم من رجال الحزب الوطني ـ اهرام ٨ مارس عام ١٩٠٩ ـ ولعل ابرز النقابات وأهمها فى هذه الفترة هى نقابة الصناعات اليدوية التى تأسست عام ١٩٠٩ بفضل جهود الحزب الوطنى ورعايتــه لها وكانت هذه النقابة تجسد ملامح المرحـلة من حيث استقلالهـا عن العمـال الاجانب ومن حيث قيـادتها الوطنيـة ونفوذها ومن حيث التقـاء العمـل الوطنى والثقافى فى اعمالها .

● وعندما تولى محمد فريد قيادة الحزب فى ١٤فبراير عام ١٩٠٨ لاحظ تحولا فى خطة الجهاد ممـــا يؤكـد اتجاه الحزب نحو الطبقة العاملة والرغبة فى الدفاع عنهم كجزء من نشاطهم اليومى وكرصيد شعبى له فى العمل الوطنى ، ولم يقف محمد فريد عند حد التعاطف والتأييد للطبقة العاملة وحركتها بل لم يلبث أن اتخـذ الحزب خطوات تنظيمية هامة ســـارت فى اتجاهين متوازيين هما : أولا ـ الاتجاه نحو انشـاء مدارس الشعب لتعليم العمال .. ثانيا ـ الاتجاه نحو انشاء نقابة الصناعات اليدوية التى تعد بحق اكبر تنظيم عمالى فى مصر طوال الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى فهى تجسد الملامح الاساسية التى اتسمت بها حركة الطبقة العاملة فى هـــذه المرحلة (١٩٠٧ ـ ١٩١٤) من حيث كونها نقابة وطنية فى عضويتها وقيـادتها ومن حيث ارتباطها بالعمل الوطنى لما كان يرسمه الحزب الوطنى ويقوده كما كانت هذه النقابة مركزاً للالتقاء الواقعى بين الطبقة العاملة والمثقفين الوطنيين ليس فقط فى نشاطها اليومى بل وفى نظام عضويتها .

وقد لعب الزعيم الخالد محمد فريد دورا هاما فى

دفع حركة المطالبة بالتشريعات نحو النضج عندما نشر سلسلة من المقالات عام ١٩٠٨ ينتقد فيها سياسة الحكومة ازاء العمال ويطالبها باستصدار القوانين الكفيلة بحمايتهم وتعويضهم . وتعتبر هذه المقالات بحق بداية الانطلاق الواسع لهذه الحركة وبلوغها قمة نشاطها فى الاعوام السابقة على الحرب مباشرة فلم يخل التقرير السنوى الذى كان يلقيه رئيس الحزب الوطنى فى الجمعية العمومية للحزب من اشارة الى ضرورة العمل على اصدار تشريعات العمل والضغط على الحكومة من اجل تحقيق ذلك »

واتصلت افكار محمد فريد ـ كما يقول شهدى عطية الشافعى فى كتابه « تطور الحركة الوطنية المصرية » (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) بالتيار الاشتراكى فى اوربا ، ومن ثم بدأ يتجه بالحركة الوطنية وجهة جديدة الا وهي الربط او محاولة الربط ما بين حركة المثقفين وحركة الطبقة العاملة الناشئة فزاد اهتمام الحزب الوطنى بانشاء مدارس الشعب الليلية لتعليم العمال مجانا كما جاء فى تقرير لمحمد فريد وانشئت أربع مدارس يضم كل منها قرابة ١٢٠ تلميذا فى مختلف المهن . وقد ساهم نادى المدارس العليا فى هذه الحركة التعليمية واكثر الحزب من الاهتمام بنقابات العمال فساهم فى وضع قانون عمال المصانع اليدوية فى عام ١٩٠٩ وكان محمد فريد واضحا حين قال فى خطبة له :

« اشرحوا للعامل ، اخرجوه من الظلمات الى النور اشرحوا له حالة اخوانه فى اوربا وما هم فيه من سعادة نسبية بفضل العلم والاتحاد والتضامن وكان لهذا أثره فى زيادة قوة الحركة الوطنية »

وهكذا استطاع الحزب الوطنى ان يجذب العمال الى المعركة السياسية نتيجة اشتغاله بين صفوفهم .. بل لقد اهتم محمد فريد بالعمال الزراعيين .

وبعد نفي محمد فريد ـ خارج مصر ـ لم تنقطع صلته بالنقابات ولم يقل اهتمامه بانشاء نقابات جديدة

أرسل محمد فريد ـ وهو فى المنفى ـ خطابا بتاريخ ٢٢ ابريل عام ١٩١٣ الى عبد الرحمن الرافعى عندما بلغه ان الرافعى يعد كتابا عن « التعاون » يقول فيه :

« لم اسمع من مدة بتشكيل نقابات جديدة أو شركات تعاون أو أى شيء آخر من هـذا القبيل مع انـه لو قام كل فرد منكم بتأسيس جمعية اقتصادية فى دائرته لبلغ عددها فى وقت قليل العشرات بل المئات ولذلك ارى ان اشتغالك بالتأليف لا يجب أن يمنعك من الاشتغال عملياً فى تأسيس النقابات »

ويطلب فريد من الرافعى ان يعد تقريرا يعرض على المؤتمر الوطنى الذى سيعقد فى جنيف يتناول حالة النقابات فى مصر وتاريخها وبعض احصائيات عنها وعن اعمالها « لنظهر للعالم شيئا من أعمالنا العملية ونبرهن على ان حزبنا حزب تعمير لا حزب تخريب كما يتهمونه »

أما فيما يتعلق بمؤتمرات السلام فنذكر هنا ان محمد فريد قبل ان يدخل السجن قد دعا الى تأسيس جمعية باسم جمعية السلام العام فى وادى النيل تكون لها علاقة رسمية بمكتب السلام الدائم فى برن «سويسرا» وذلك لكى يمكن لمصر الاشتراك فى مؤتمرات السلام ، وقد لبى الدعوة كثير من أبناء مصر ، وتم تاليف هذه الجمعية وهو فى السجن وانتخب رئيسا لها وكان محمد فريد يعتز برئاسته لهذه الجمعية حتى أنه كان

يوقع بوصفه رئيس الحـــزب الوطنى ورئيس جمعية السلام العام فى وادى النيل ، وحتى فى كتابه « المسألة الشرقية » ذكر تحت اسمه هاتين الصفتين .

وقد بدأ محمد فريد يهتم بمؤتمرات السلام التى عقدت ١٧ مرة قبل ان تعقـــد مؤتمرها عام ١٩١٠ فى استوكهلم وكان محمـد فريد أول مصرى يشترك فى هذه المؤتمرات وقد خطب محمد فريد فى هذا المؤتمر وشرح وثائق القضية المصرية ونجح فى ان يجعل المؤتمر يتخذ قرارا باظهار عظيم العطف على الشعب المصرى واحالة القضية الى المؤتمر القادم ، الذى تقرر عقده فى روما عام ١٩١١ ثم حالت ظروف الحرب الايطالية الطرابلسية دون عقده وكان بعض قادة الحزب الوطنى يعارضون فى اشتراك مصر فى مؤتمر السلام الذى تقرر عقده فى روما احتجاجا على عدوانها على ليبيا .. وقد أرسل عبد الحميد سعيد الى محمد فريد ــ فى منفاه ــ يسأله :

ــ ماذا ستقولون فى مؤتمركم وقد اجتمعتم بعاصمة دولة مزقت القانون الــدولى كل ممـــزق ، وضربت بالعادات المرعية والاداب السياسية عرض الحائط اذ باحتلالها طرابلس تكون هى وقرصـــان البحر الاحمر سواء .. دع عنك فكرة مؤتمرات السلام وجمعيـات التصالح والوئام ، فالكلمة اليوم للمدفع وهو صـــاحب الحق فى جميع الاحوال كما كان ذلك شـأن السـيف والرمح فى سالف الزمان وسيبقى الحق للقوة الى ما شاء الله أو تتغير طبيعة الانسان » .

ويختم عبد الحميد سعيد خطـابه بقوله مخاطبـا محمد فريد : « ارجعوا الى وطنكم التعيس يرحمكم الله ،

وفكروا فى طريقة أخرى لخلاصه »

والجدير بالذكر ان جمعية السلام التى انشئت فى مصر ليتسنى لمندوبيها حضور مؤتمرات السلام العام قد تألفت ومحمد فريد فى سجنه كما انها قد اختارته لرئاستها ، وهو فى السجن ايضا . وكان مجرد انشاء هذه الجمعية فى بادىء الامر ، اشبه بالمعجزة ، لان الناس كانوا يخافون من الانضمام اليها ويفاخرون فى الصحف بأنهم رفضوا الاشتراك فيها ولم يكتمل النصاب القانونى المطلوب لتشكيل الجمعية وهو سبعة أفراد - الا بشق النفس ! !

يقول محمد فريد عن مؤتمر السلام العام الذى انعقد فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩١٢ :

« فى جنيف عرفت ان الحكومة المصرية كانت تبذل جهدها بواسطة سفراء انجلترا لطلب تسليمى حتى ان جريدة « المقطم » ذكرت فى احد اعدادها ان الحكومة تنتظر تلغرافا من ساعة الى أخرى ينقل خبر القبض على ونشرت جرائد سويسرا صبيحة وصولى ان المخابرات دائرة بين مصر وسويسرا لهذا الفرض . ولكنى تأكدت فيما بعد من معارفى بمجلس نواب سويسرا ان الحكومة السويسرية لم تتلق أى خبر من مصر بهذا الخصوص »

وبعد ان يروى محمد فريد قصة انتخابه وكيلا لهذا المؤتمر عن المصريين يقول :

« كنا اكثر من ١٢ عضوا وكان محمد افندى فهمى ضيف جنيف قد اعد تقريرا مطولا عن المسألة المصرية ادرج فى مجموعة اعمال المؤتمر وكان بعض الطلبة المصريين قد احتجوا على تسميته نفسه رئيسا للجنة الشعبية المصرية الدائمة لاوربا وقدموا هذا الاحتجاج

لسكرتير المؤتمر قائلين انهم لايريدون ان يمثلهم هـذا الانسان وان لجنته لا وجود لها .. وفى أثناء المؤتمر كان موجودا محمد بدر الدين بك رئيس قسم الضباط بمصر حيث اتى لمراقبتى ومراقبة الطلبة فكاتب احمد افندى سلطان الطالب بالطب هنا وكان من اعضاء

نادى المصريين بالاستانة وطلب مقابلته فأطلعنى على التذكرة وأخذ رايى فنصحته بالمقابلة فقابله وعرض عليه ان يكون جاسوسا علينا فقبل بناء على رأيى ثم سافر الى باريس ومنها الى رومانيا والاستانة حيث

قابل الخديو وظل يرسل لى تقارير بما يرى ويسمع ، ولكنه خاننا آخر الامر وقطع مكاتباته واصبح جاسوسا حقيقيا وعين له مرتب ١٢ جنيها ، ثم عين فى الاوقاف الخصوصية » .

وفى هذا المؤتمر طالب محمد فريد بالجلاء فورا .. وقد عارض الاعضاء الانجليز فى المؤتمر وقامت معركة بينه وبين المستر ماريسون من أعضاء مجلس العموم البريطانى ، وقرر المؤتمر استنكار استخدام وسائل القوة فى مصر ، وضرورة الجلاء فى اقرب وقت ممكن واعادة تأسيس حكومة ذاتية فى مصر .

ويروى محمد فريد قصة اشتراكه فى مؤتمر السلام عام ١٩١٣ فيقول :

« فى ١٥ اغسطس عام ١٩١٣ سافرت من جنيف الى مملكة هولندا ، لحضور مؤتمر السلام العام بها وكان معى عبد الملك افندى حمزة ، ومحمد على محمد المهندس ، ومحمد افندى السادة ، وسيد افندى منصور ، وهذان الاخيران من طلبة العلم فى باريس.. سافرت بالسكة الحديد الى مدينة كوبلانتر بألمانيا ، ثم

ركبنا باخرة فى نهر الراين الى كولونيـــا ومنهـــا ركبنا القطار الى عاصمة هولندا « لاهاى » فوصلنا قبيـــل منتصف الليل .. حضرنا اغلب جلسات المؤتمر ولـكن لم يسمح لنا بالتكلم فى المسالة المصرية حيث كان المؤتمر السابق قد نظرها واتخذ فيها قرارا ولم يجد بها شيئا يستوجب بحثها من جديد .

وفى ليـــلة ١٦ اغسطس عام ١٩١٣ نشرت الجرائد المدنية تلغرافا يفيد أكتشاف مؤامرة لقتل اللوردكتشنر وان المـكلف بالقتـــل شـــاب مصرى من طلبـــة العلم بهولندا ممن لهم علاقة متينـــة بى وســـافر الى مصر خصيصا لتنفيذ القتل فأخذ الجميع يتساءلون عما اذا كنت انا المقصود بالتلغراف وقد التصق بنا ضـــابط قديم قدم نفسه الينا مظهرا ميله واستعداده لمساعدتنا فى أى أمر ، ثم سألنى عن هذا الخبر وقال انه يعرف مدير البوليس وسيقـــابله ويخبرنا بكل ما يعرفه أو يسمعه بهذا الخصوص وغلب على ظننا ان الرجل مكلف بمراقبتنا » .

ويكتب محمد فريد فى مذكراته عن مؤتمر الســـلام العام الذى عقد فى لاهاى فى اواخر ابريل عام ١٩١٥ : « سافرنا الى لاهاى عاصمة هولندا لحضور مؤتمر سلام لأسيدات »

« اما المؤتمر فكانت اعماله كلها مناقشات نظرية لا تفيد شيئا فى ايقاف الحرب أو منعها فى المستقبل .. على ان النساء برهن فيه على كمال استعدادهن فى الخطابة والمناقشة وحفظ النظام » .

وبطبيعة الحال لم يعد هناك مجال لعقد مؤتمرات سلام والحرب العالمية الاولى على أشدها وملايين البشر

تلقى مصيرها المحتوم على أيدى ملايين اخرى ..

وبدات ـ وبعد ان انتصرت الاشتراكية فى روسيا ـ مؤتمرات الاشتراكيين تأخذ جانبا من اهتمام محمد فريد ورفاقه ، وقد كتب محمد فريد عن مؤتمر « الاشتراكيين » الذى عقد فى برن عام ١٩١٩ يقول :

ـ فى زيورخ قضيت تسعة ايام مع الشيخ صالح الشريف وقابلت عزيز عزت باشا ، ثم سافرت الى سان مورتس يوم الثلاثاء ١٠ منه واقمت بها حتى يوم الاربعاء ٢٢ يناير ، اى بعد أن قضيت بها ٤٣ يوما فى الاكل والنوم والراحة التامة .

فى اثناء ذلك لم يحدث ما يستحق الذكر الا مسألة تقرير اجتماع مؤتمر الاشتراكيين فى برن ، ومسألة مجىء ولسن الامريكى الى أوربا لحضور مؤتمر الصلح وقبل اجتماع مؤتمر الصلح حررت لجنة الحزب الوطنى تلغرافا الى رؤساء اللجان الدولية فى المؤتمر المذكور يطلبون استقلال مصر وبلغونى ملخصه تليفونيا فوافقت عليه وصرحت لهم بوضع اسمى عليه ، وكانوا قد أرسلوا تقريرا مطولا الى ولسن على يد « قنصل جنرال » امريكا فى برن تعرفوا به بواسطة رجل مجرى، ولذلك جهزوا تقريرا آخر ، ليقدم لمؤتمر الاشتراكيين لذلك استحسنت أن اسافر الى برن للاطلاع على نص هذا التقرير والتوقيع عليه وللاجتهاد فى مقابلة بعض من اعرفهم من أعضاء المؤتمر فسافرت يوم الاربعاء ٢٢ يناير وقضيت الليلة فى زيورخ ثم سافرت منها فى اليوم التالى الى برن وكان معى عبد الملك حمزة ، الذى كان قد حضر لقضاء بضعة أيام معى فى سان مورتس بعد ان قضى اكثر من اسبوعين فى مدينة اوسا مع الدكتور

مرسى الخولى المريض والمقيم بها منــــذ نحـــو ثلاثة اعوام ، فى برن وجـدت جاويش وعوض البحـراوى فأطلعانى على صورة ما جهـزوه لمؤتمر الاشـتراكيين فوافقت عليه بعد ان ادخلت عليه بعض التعديلات وبعد ترجمة هذا التقرير الى الفرنسية ـ وكان فى الاصـل بالانجليزية والالمانية والطليانية ـ وطبعت منه عدة نسخ بهذه اللغات الاربع ووزعت على الاعضاء .. ومن غريب اعمال جاويش وجماعته انهم طبعـوا عليهـا جميعـا « وكيل الحزب الوطنى » ليمضيها الشيخ جاويش مع وجودى معهم فشـطبت لفظ « وكيل » واستبدلتها بلفظ « رئيس » ووقعت عليهـا بامضائى وبالطبع لم يجرؤ احد منهم على انتقاد عملى هذا لانه قانونى .. ولكنهم امتعضوا وتضايقوا وظهر ذلك على وجه جاويش بصفة خاصة » .

وعن مؤتمر برست ليتوفسك الذى اجتمـع لتقرير الصلح بين روسيا والمانيا وحلفائها كتب محمد فريد فى مذكراته ما يلى :

« كان أول اعمال اللجنـــــة ارســـال تلغراف الى المؤتمر وقد أرسل فعلا ونشر فى جميع الجرائد ، وكنا قد قررنا ارسال صورة التلغراف الى الجرائد ليعلم به باقى الاعضاء كما قمنا بتحرير تقرير مطول يرسـل لجميع اعضاء المؤتمر وللجرائد أيضا نثبت فيه انمسألتنا ليست عثمانية بل هى دولية واننا نطلب الاعتراف بحق الامة المصرية بأن تقرر بالتصويت العام رغبتها فى الكيفية التى تريد ان تحكم نفسها بها والاعتراف كذلك بحيدة ترعة السويس تبعا لمبدأ الجنسيات ولمبدأ حرية البحار »

تلك قصـة محمـد فريد مع مؤتمرات السلام ومع

مؤتمرات الاشتراكيين . اما بقية القصة ، علاقة لينين بمحمد فريد ، فانها قصة طويلة كان بطلها شاب روسى اسمه تيودور روذستين هرب من روسيا فى أثناء الحكم القيصرى وهاجر الى انجلترا والتقى بالاحرار من المفكرين الانجليز والايرلنديين الاحرار واتصل بالمستر ويلفريدبلنت الكاتب الايرلندى الحر الذى وقف الى جانب شعب مصر ، من أيام ثورة عام ١٨٨٢ بقيادة احمد عرابى ، ولما ذهب مصطفى كامل ومحمد فريد الى اوربا لاختيار محررى صحيفتى « ليتندار اجبسيان » و « ذى اجبسيان استاندرد » رشح بلنت للزعيمين المصريين تيودور روذستين ـ وكان قد بدأ يهتم بالقضية المصرية وقد أصدر روذستين كتابا أسماه «خراب مصر» ومصر قبل الاحتلال البريطانى وبعده حمل فيه على الاحتلال البريطانى حملات عنيفة ـ واشترك روذستين فى تحرير الصحيفتين المصريتين فلما أغلقتا بسبب ضيق يد الحزب الوطنى ، عاد الى انجلترا واشترك مع بلنت فى اصدار مجلة «مصر» ، تلك المجلة التى أصدر كتشنر تعليمات صارمة بألا تدخل مصر ، لعنفها بعد أن ضايقت الحكومة البريطانية وقد انتقل روذستين الى أوربا وعاش هناك متنقلا بين پاريس وجنيف وبرن ، فلما قامت الثورة الاشتراكية فى روسيا عاد روذستين واصبح سكرتيرا خاصا للينين ، وظل فى هذا المنصب فترة غير قصيرة الى ان عين وزيرا مفوضا للاتحاد السوفييتى فى طهران ثم طلب هندرسون وزير خارجية بريطانيا سحبه من هناك لانه كان يقوم بنشاط معاد لبريطانيا فى ايران والهند ..

ويحتمل أن يكون لقاء محمدفريد ولينين قد تم ، فى جنيف

خاصة وان الجميع ـ جميع المنفيين السياسيين الذين كانوا يقطنون جنيف ـ كانوا يقيمون فى شارع البوندراف الذى كان يقيم به محمد فريد ولينين ، وغيرهما

اما ما جاء فى مذكرات محمد فريد خاصا بلينين فهى العبارة التالية فى صفحة ٢٦٧ :

« اخيرا وصل الى علمنا ان المسيو لينين رئيس الحكومة الروسية ارسل تلغرافا لاسلكيا الى شعوب العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند ، وصلنا هذا الخبر من الامير شكيب ارسلان على لسان وزير الخارجية نفسه وان هذا التلغراف نشر فى جرائد البلاد المحايدة ، لكنه لم ينشر هنا ـ برست ليتوفسك ـ عند ذلك قررنا شكر لينين على هذه العناية تلغرافيا ، وفعلا أرسل التلغراف عن طريق استوكهلم وارسلت صورته للجرائد هنا ـ برلين ـ لكن لم ينشر ولا فى جريدة واحدة منهما، والظاهر ان الحكومة منعت نشره لاسباب لم نعلمها »

خاتمة

فى رايى ان انتقال محمد فريد من مصر الى اوربا عام ١٩١٢ بعد موجة الاضطهادات القاسية التى تعرض لها ومن بينها الالقاء به فى غياهب السجن ستة أشهر كاملة يعتبر نهاية لمرحلة هامة من مراحل كفاحه الوطنى وبداية لمرحلة جديدة وقد كان ايمانى بهذا الرأى هو الذى جعلنى فى مجال دراستى لمحمد فريد أقصر هذا البحث على كفاحه داخل مصر ، على أن أتبعه ببحث آخر يتضمن كفاح محمد فريد خارج مصر .. ولهذا السبب لم أحاول الكلام عن الفترة التى قضاها محمد فريد فى المنفى الا ما يقتضيه سياق الحديث واعطاء صورة كاملة لموضوع معين والفكرة التى تسيطر على — وان عارضها الكثيرون — تتلخص فى اقتناعى بأن مصر فى مطلع عام ١٩١٢ كانت قد وصلت الى نقطة تحول خطيرة يوشك بعدها الكفاح الوطنى ان يتحول الى ثورة ، لولا خروج محمد فريد فى مطلع هذا العام وتوالى احداث هامة وخطيرة نتجت عن هذا الخروج وقد كنت اؤمن وما أزال حتى هذه اللحظة — وبالرغم من معارضة الكثيرين أيضا — أن خروج محمد فريد من مصر واتخاذه اوربا منفى اختياريا له فى بداية الامر ورغم ما قدمه محمد فريد فى الخارج من تضحيات ،

مسألة فيها نظر وقد اشرت الى هذا الرأى في كتـــابي « الجلاء طريق السلام والاستقرار والحرية » الذى صدر عام ١٩٥٤ حيث قلت فى صفحة ٣٨ ما يلى :

« ويقضى محمد فريد نصف عام فى السجن ويخـــرج ليجد قضية اخرى فى انتظاره ، غير انه يترك مصر — وكنا نود الا يفعل ذلك — ليكمل جهاده فى أوربا وليصبح فى اوربا قديس الامة المصرية . »

وقد عارضنى فى وجهة نظرى هـذه الاستاذان عبد الرحمن الرافعى ومحمد زكى عبد القادر اللذان قالا ان هذا الراى فيه بعض القسوة . وأنا اؤمن بأن مكان الزعيم القائد دائما وأبدا فى قلب المعركة ، ليس له مهما كانت قسوة الاضطهاد الذى يتعرض له — حتى ولو وصل الامر الى الاعدام — ان ينتقل الى ميدان آخر ذلك لان كل حركة وطنية تكتسب من قائدها ومن جنودها المخلصين لها — باستمرار — قوة متجددة ، وبقاء القائد — وبقاء الجنود المخلصـين — فى قلب المعركة والتعرض للاضطهاد يزيد المعركة اشتعالا ويقرب من أمد النصر ، وقد كانت الوثائق التى حصلت عليها تؤكد بالنسبة لى هذا الرأى . لقد كانت المعركة قبل ان يغادر محمد فريد — وللحق نقول انه لم يكن يتوقع لغيبتـه ان تطول — قد أصبحت واضحة الاهداف والمعالم وكان غياب محمد فريد عن قيادة المعركة فى هذا الوقت الحاسم سببا فى اضعاف هذه الحركة وفى اصابة بعض جوانبها بالشلل ففى الاشهر التالية لخروج محمد فريد من مصر بدأ الشقاق يدب بين أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى ووجد بعض ضعاف العزيمة فى خروج محمـد فريد موجبا لتحللهم من التزاماتهم قبـل الحركة الوطنيـة

ووجد فريق من الذين يؤمنون بانصاف الحلول فى خروج محمد فريد فرصة للوقوف بجهدهم عند هذا الحد .. الامر الذى مكن للخديو عباس حلمى الثانى من استمالة بعض هؤلاء الضعاف وانصار انصاف الحلول ، هذا بالاضافة الى أن قيادة الحركات الوطنية

لا يمكن ان تنجح بالاعتماد على الرسائل او ايفاد الوفود لنقل وجهات النظر ، واذكر ان بعض قادة الحركة الوطنية قد اختلفوا مرة فى أمر من الامور ، واحتكموا الى محمد فريد ، وكان رأى ــ محمد فريد ــ الذى لم تكن الصورة على الطبيعة واضحة أمامه كما جاء فى خطاب له :

« اننى أؤيد الجانب الذى يقف به امين الرافعى نظراً لما أعرفه عنه من صلابة وبعد نظر »

واعتقادى الخاص انه لو بقى محمد فريد داخل مصر لقامت الثورة المصرية عام ١٩١٢ أو عام ١٩١٣ كما اننى أومن بأنه لو بقى محمد فريد فى مصر ولم يقدر لثورة عام ١٩١٩ ان تنطلق الا فى موعدها الذى انطلقت فيه وهى مارس سنة ١٩١٩ لما كان هناك أدنى شك فى ان قائد هذه الثورة سيكون بالقطع محمد فريد ، ولو ان الامر كان كذلك لتغير وجه التاريخ فيما يتعلق بهذه الثورة وبنتائجها !

وليس معنى ذلك أبداً القول بأن الحركة الوطنية قد ماتت أو انتهت عقب خروج محمد فريد من مصر ، ولكن معنى ذلك فى رأيى أن خروج محمد فريد من مصر قد أبرز التناقضات داخل الحركة الوطنية وهذه بعض الامثلة :

ــ توقف انشاء النقابات العمالية والاندية والروابط عقب خروج محمد فريد ولم تندفع حركة تنظيم العمال

والفلاحين فى الاتجاه مثل اندفاعها قبل خروج محمد فريد من مصر . واستقطاب الخديو لعدد من أعضاء اللجنة الادارية عقب خروج محمد فريد من مصر ، ومن بين هؤلاء الاعضاء محمود فهمى سكرتير الحزب الوطنى وعلى المنزلاوى أحد أعضاء اللجنة وغيرهما .

● فى رسالة بعث بها عبد الملك حمزة الى محمد فريد بتاريخ أول يونية عام ١٩١٢ ــ أى بعد خروج محمد فريد بقليل ــ ما يؤكد هذا المعنى . قال عبد الملك حمزة :

« أما مدارس الشعب فقد أعطينا العباسية وبقية المدارس عدا مدرسة بولاق اجازة ثلاثة أشهر وذلك لان عجز هذه المدارس كبير وقد نفذت النقدية وقد جمعنا ثلاثة جنيهات أخرى عن طريق التبرع نفدت أيضا .. ونظرا الى ان الوقت صيف لا ينتظر ربحا من ليلة تمثيلية ، لذلك فكرنا ايقافها مؤقتا فأعطيناهم هذه الاجازة . أما مدرسة بولاق فرأيت ابقاءها ودفعت لها

عجز الشهر الماضى من عندى لانه بسيط وهو ١٥٠ قرشا ولان المتعهدين قالوا ان العجز فى الاشهر المقبلة لا يمكن ان يزيد عن ٥٠ قرشا فرأيت ابقاءها ودفع هذا العجز من طرفى حتى نقيم ليلة فى اكتوبر وعند ذلك نعيد فتح جميع المدارس »

وفى مثل هذا المعنى كتب دكتور اسماعيل صدقى ــ وهو غير اسماعيل صدقى باشا ــ الى محمد فريد يقول :

« انى لا أرى فى جمعية السلام الا ما ترونه ولذلك فان الاسف يخالجنى باشد تأثير كلما رأيت الضعف قد تغلب على تلك الهمم التى كانت عمادنا فى القيام بمهمتنا

وتنفيذ مبادئنا على اختلاف اشكالها .. رأيتم اجتماع مجلس ادارة الجمعيــة وغير ذلك وقد جاهــدت فى الحصول عليه فكانت النتيجة مضاعفة الاسف عندى اذ لا يوجد من الاعضاء من يوافقنا فى الظروف الحاضرة ولا اخفى عنكم اننى حاولت تكوين الجمعية طبق القانون من سبعة أعضاء فلم أوفق . وليس التهاون والتقصير فقط فى جمعية قد نسى اعضاؤها او تناسوا مأموريتهم ، شأنهم شأن اعضـــاء اللجنـــة الادارية ـ أغلبهم ان لم أقل جلهم ـ حتى أصبحت وللاســف حالة النــادى نفســه فى حاجة قصــوى للتــدبر .. فقــد انقطع عن الحضور فيه حتى الاعضاء الذين كانوا متعودين ذلك وفقدت بالــكلية وسائل ايفاء حاجته حتى الوقتية منها مثل قيمة الاضاءة ..

وقد وصل بنا الاهمال الى عدم تلبيــة دعوة اللجنة الادارية للنظر فى حالتنا الحاضرة وحالتنا المالية خاصة التى تحتاج للاسعاف السريع مثل الاحوال المرضيــة المفاجئة »

وينتهى اسماعيل صدقى فى خطابه بقوله :

ـ سأتفق مع وفيق على ارســال مبلغ المائة فرنك وكتاب باسمكم من جمعية السلام حتى يتسنى لنا الاشتراك فى مؤتمر هذا العام . وهذه هى الطريقة العملية الوحيدة ادعو الله ان يوفقنا جميعا لما فيه خلاص بلادنا ، وتقويم اخلاقنا وان يبعد عنا مناوأة بعضنا بعضا .

وفى ٢ اغسطس عام ١٩١٢ ، بعد سفر محمد فريد الى اوربا بشهور ، نشر محمد فريد مقالا فى جــــريدة « لى سيكل » الفرنســية ضد الخــديو واتفاقه مع بريطــــانيا على اعترافه بالحمــــاية البريطـــانية ،

وفى ٥ و ١٠ سبتمبر كتب محمد فريد مقـــالين شرح فيهما ما اجمله فى المقال الاول ـ وبعد ظهور هــــذه المقالات ـ كما اكد احمد شفيق فى « مذكراتى فى نصف قرن ـ اخذ بعض أعضاء الحزب الوطنى بفضل مســاعى الخديو وتأثيره يطلبون عزل محمد فريد بك من رياسة الحزب الوطنى وطلبوا انعقاد اللجنة الادارية للحـــزب لمحاكمته فعارض فى هذا على فهمى كامل »

وقد انخدعت غالبية اعضاء اللجنة الادارية للحزب ووقع كثير من أعضائها فى شباك المؤامرة ، وقد أرسل على فهمى كامل وكيل الحزب الوطنى بتاريخ ٣ سبتمبر عام ١٩١٢ خطابا الى محمد فريد قال فيه :

ـ عزتلو حضرة محمد بك فريد .. السلام عليكم وبعد .. فقد كلفتنى اللجنة المنتدبة من قبل اللجنـة الادارية للحزب للنظر فى المســائل المستعجلة ان أبعث اليكم هذا الخطاب المتضمن قراراتها الصــادرة فى ١٣ سبتمبر الجارى فى البيان الاتى :

ـ نشرت جريدتى « الســـيكل » و « الاكسيون » اللتان تصدران فى باريس ثلاث مقالات بامضائكم ... احداها عن المؤامرات الجنـــائية ، والاخريان اتهمتم فيها الخديو بأنه اتفق مع انجلترا سرا على حمـايتها مصر وفصلها عن الدولة العلية فى مقابل تسميته خليفة المسلمين وقد ظهر استيــاء الراى العــام المصرى عامة والحزب الوطنى خاصة على اثر نشر كل مقال من هذه المقالات فى اكبر مظاهرة .. الامر الذى عنيت به اللجنة الادارية فاجتمعت فى يومى ٣٠ اغسطس و ٨ سبتمبر الجارى للنظر فى هذه المسألة الهامة بين مســائل أخرى وقررت تأليف لجنة من بين أعضائها لوضع حد لهذه

الامور واصدار قراراتها باسم اللجنة الادارية وقد اجتمعت هذه اللجنة المنتدبة اليوم لاول مرة وقررت بعد المناقشة سؤالكم فيما يأتي :

أولا — هل حقيقة هذه المقالات بقلمكم ؟

ثانيا — اذا كانت هذه المقالات بقلمكم ، فاللجنة تسألكم ان تدافعوا عن نفسكم ، كما يقضى بذلك قانون الحزب الاساسى ..

ثالثا — قد حددت لكم اللجنة ثلاثة أسابيع من هذا التاريخ بحيث اذا لم يصلها الرد على هذا لغاية يوم الخميس الثالث من شهر اكتوبر المقبل فانها تعتبر ذلك امتناعا منكم عن الاجابة ..

ويقول احمد شفيق :

« عقدت اللجنة الادارية للحزب اجتماعا وقررت استنكار مقالات محمد فريد ، ولكن لم ينشر القرار فى الصحف فاستقال بعض الاعضاء ومنهم على المنزلاوى ومحمود فهمى سكرتير الحزب »

وفى ٢٠ سبتمبر نشرت « الاهرام » برقية أرسلها محمد بك فريد الى على فهمى وكيل الحزب باستقالته لاضطراره البقاء خارج القطر وطلب ان تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب دون غيرها وذلك لما بلغه عن مساعى الخديو مع أعضاء اللجنة الادارية ..

وبالطبع لم يجرؤ على فهمى كامل ولا اللجنة الادارية على دعوة الجمعية العمومية للحزب للاجتماع لبحث استقالة محمد فريد لان الجميع يعلمون حق العلم ان الجمعية العمومية لا يمكن ان تقبل استقالة محمد فريد وهى التى اختارته منذ فترة قصيرة رئيسا للحزب ..

● كان الحـزب الوطني يعين مجلة « ايجبت » التى تصدر بلندن ـ لصالح القضية المصرية ـ بمائتى جنيه كل عام وقد تأخر ارسال هـذه المعونة الى المجـلة فى أعقاب خروج محمد فريد من مصر حتى اضطر محمد فريد ان يكتب فى عام ١٩١٢ الى عبد الرحمن الرافعى

أن يتحدث مع الاخوان من أجل مساعدة هذه المجـلة بالمال ـ ولو على قسطين ـ لانه لا يصعب على الامة التى تجود بمئات الالاف من الجنيهات أن تبخل بمائتى جنيه فقط مثل هذا العمل المفيد .. وأضاف محمد فريد الى ذلك قوله :

« انى أشتغل الان فى وضع رسالة صغيرة بالفرنسية أشرح فيها الاسباب التى أوصلت الدولة العلية لهـذه النقطة الخطرة وهذا المركز الحرج وربما ظهرت الرسالة فى يناير القادم » ..

وكتب محمد فريد ـ من الأستانة فى ٢٥ مارس عام ١٩١٣ ـ الى عبد الرحمن الرافعي يقول :

« ساءنى ماجاء بخطابكم المذكور من العبارات التى تعبر عن اليأس فى مسـتقبل الامة بسبب ما ظهر من بعض ابنائها من الخور والضعف ..

فمـا يمنعهـم من صرف همتهـم الى المشروعـات الاقتصادية كالنقابات وشركات التعاون المنزلى والمـالي وقد برهن ما أسس منها عن نجاح عظيم وعلى استعداد الامة للاقبال على مثل هذه المشروعات هـذا ميـدان واسع للجميع فادخلوا فيه بهمة ونشاط فاسـتقلال مصر الاقتصادى مقدمة لاستقلالها السياسى »

ونحاول هنا القـاء بعض الاضـواء على آراء محمد فريد واتجاهاته وأهـداقه ونخلص من ذلك كله

الى توضيح جوانب العظمة فى هذه الشخصية الفذة التى يجب أن يقتدى بها أبناء الامة العربية

● عندما ألقيت أعباء قيادة الحركة الوطنيـة المصرية على كتفى محمد فريد بادر أولا وقبل كل شىء بتحديد اهداف هذه الحركة بوضوح كامل بحيث لم يكن ثمة مجال لاى خلاف أو اختلاف فيما يتعلق بهذه الاهداف وكان اول هذه الاهداف جلاء القوات البريطانيـة عن ارض مصر .. فمصر لن تستطيع ابدا القيام بأى جهد اصلاحى طالما بقيت القوات البريطانية فى أرض مصر ، ثم ان العدو الاول الذى يجب محاربته بكل قوة وبدون تردد أو تراخ ، هو العدو المحتل ومن يقف الى جواره أو خلفه من الحكام أو المستوزرين أو عباد السلطة او الوظيفة • ولم يقبـــل محمد فريد ـ تحت أى ظرف من الظروف ـ المناقشة فى موضوع الجلاء ولم يقبل ان يضع يده ـ مهما كانت الظروف أيضـــا ـ فى يد من لم يقل بالجلاء ولم يعمل من أجل الجـــلاء • ولم يكن رأى محمد فريد فى ان الجلاء هو اهم المطالب المصرية منذ ان قاد الحركة الوطنية ، بل كان هذا رايه أيضا فى ايام مصطفى كامل

● كتب محمد فريد فى ٢١ أكتوبر عام ١٩٠٦ ـ فى جريدة « اللواء » يقول :

« بما أن مركز انجلترا فى مصر غير شرعى اتخذته بالسياسة وعضدته بالقوة فلا يجوز لمصرى ان يعترف به بل تجب المطالبة بالجلاء بكل شفة ولسان وفى كل وقت وآن »

وفى صبيحة انتخاب محمـــد فريد رئيســا للحزب الوطنى أرسل الى سير ادوارد جراى وزير خارجيـة

انجلترا برقية احتجاج ـ باسـم الجمعية العموميـة للحزب ـ على احتلال انجلترا للقطر المصرى بلا وجه حق واعلان العزم على السير فى خطـة مصطفى كامل حتى تفى انجلترا بوعودها ..

سأل المستر كامبل العضو بمجلس العموم البريطانى محمد فريد :

ـ ماذا يطلب الحزب الوطنى من انجلترا ؟

وقال محمد فريد على الفور :

ـ نحن لا نطلب من انجلترا شيئا سوى الجلاء .. فالجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال ..

ويقول محمد فريد فى خطبة له بالاسكندرية فى ١٥ اغسطس عام ١٩٠٨ :

« أعلن هنا اننا براء من كل شخص أو جماعةيقولون بغير الجلاء أو يرضون بالاحتلال أو يسكتون عنه مرضاة لجماعة من مجلس النواب الانجليزى يغررون بنـــا ويوهموننا بالمساعدة على نيل الاصلاح ان نحن قبلنـا الاحتلال أو سكتنا عنه »

● وعلق محمد فريد على اقتراح المستر روبرتسون ـ العضو بمجلس العموم ـ والمستر بريلسفورد مدير جريدة « الديلى نيوز » والخاص بأن تتنازل مصر عن طلب الجلاء لـكى تظفر بمسـاعدة رجال السياسـة فى انجلترا فقال :

« ان هؤلاء الساسة وضعوا لمساعدتهم شرطا لايمكن ان نقبله مطلقا .. اشترطوا لتحقيق رغباتنا ان نمحو من بينها مسألة الجلاء فنحن ان رضينا بشرطهم فاننا نعترف بهذا العمل العدوانى وهو الاحتلال وهذا محال »

ولم تكن مطالبة محمد فريد بالجلاء فقط مجرد شعار

برفعه بل كان عملا دائبا .. فكم حرك الشعب ليقوم بالمظاهرات من اجل الجلاء .. وكم لامه اصدقاؤه لانه كان يحرك الشعب بكل قوة للمطالبة بالجلاء ..

كتب احمد لطفى السيد من بلدته برقين فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٠٨ خطابا الى محمد فريد قال فيه :

ـ حضرة صديقى الفاضل .. جاءنى اليوم من الاسكندرية من احد كبار الاعيان انه علم من اسماعيل اباظة باشا ان الحزب الوطنى سيقوم غدا بمظاهرة تمر امام دور القنصليات الاجنبية تنادى فيها بالجلاء .. ويعلم اخى ان مظاهرة من هذا النوع لم يأت الى الان وقتها وان من شأنها ان تقف امام الامة فى طلب الدستور فاذا كان ولا بد من مظاهرة فلماذا لا تكون كالعادة فى كل عام ما دام السبب فى طلب الجلاء عندك هو ما قد علمته وبأنك احرص من ان تدع الحزب الوطنى موضعا لتنديد العقلاء ..

وتفضل بقبول تحيتى وعظيم احترامى ..

اخوكم : احمد لطفى السيد

وفى الذكرى الاولى لوفاة مصطفى كامل فى ـ فبراير عام ١٩٠٩ ـ قال محمد فريد :

ـ ان مصر لم تزل تئن من سلطة الفرد وتسعى لنيل الدستور وتشتكى من احتلال الاجنبى .. ان الحفلات التى تقام غدا فى أغلب المراكز والقرى لاكبر دليل على نمو الشعور الوطنى فى البلاد واكبر مشجع لنا على السير فى هذا الطريق القويم .. طريق خدمة الوطن والسعى المتواصل لنيل الدستور والحصول على الجلاء ..

ولخص محمد فريد فى حديث له مع صحيفة

« لونوفيل » الباريسية فى — ٢٧ مايو عام ١٩١٠ — ما يريده المصريون فى عبارة واحدة اذ قال :

« نريد جلاء الانجليز .. »

وعندما ذهب محمد فريد الى لندن فى يونية عام ١٩١٠ للاشتراك فى مؤتمر الامم المهضومة الحقوق قال فى كلمة له :

« نحن لانقبل أبدا الاعتراف بالاحتلال البريطانى فاننا نعتبره غير شرعى كما نعتبره مؤسسا على القوة الغشوم التى لايجوز أن تكون مطلقا أساسا لحق من الحقوق »

ووجه محمد فريد كلامه الى الحاضرين قائلا :

« اتيت الى هنا باسم الحزب الوطنى لاذكركم بالوعود والعهود التى صرحتم فيها بالجلاء عن مصر وردها الى أهلها كما جئت لاثبت لكم أن شرف انجلترا يقضى عليها بالوفاء بهذه الوعود »

والمطلب الثانى الذى حدده محمد فريد كهدف للحركة الوطنية — بعد الجلاء — هو الدستور .. وقد اعتمد محمد فريد فى المطالبة بالدستور على كل الوسائل الشعبية بما فيها المظاهرات والاحتجاجات وتوقيع العرائض .. وقد وقع على العريضة الاولى أكثر من ٤٥٫٠٠٠ شخص ، وعلى الثانية أكثر من ١٦٫٠٠٠ شخص وغيرها وغيرها وعندما رفعت هذه العرائض الى الخديو حاول الانجليز احباط هذه الحركة اذ سأل احد أعضاء مجلس العموم السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا عما اذا كان للخديو أن يضع دستورا ومجلسا نيابيا ، فأجابه بأنه لا يمكن ذلك الا بعد استشارة الحكومة البريطانية ..

وعندما صرح سير الدون غورست — المعتمد

البريطانى - فى حديث له مع جـــريدة « المقطم » فى ٧ اكتوبر عام ١٩٠٨ - بأن الشروط اللازمة لادارة البلاد بموجب نظام دستورى غير متوفرة الان والتفـكير فى ادخال تغيير يحدث انقلابا والانقلاب ضرب من الحماقة احتيج محمد فريد على سير الدون غورست قائلا :

« ان مثل هذه التصريحات لا تميت الشـــــعور ، بل تزيده قوة على قوة » . ونادى محمد فريد أعضـــــاء مجلس شورى القوانين أن يقرروا فى أولّ اجتماع لهم طلب الدستور والا يجتمعوا مرة أخرى الا اذا حصلوا عليه

وفى ١٧ ابريل عام ١٩٠٨ خطب محمد فريد فى دار التمثيل العربى قائلا :

- لو كنا يدا واحدة وقلبا واحدا ونفسا واحدة فى اجسام واحدة .. ولو نبذنا التفرق والانقســام الى احزاب متعددة لا فارق فى الحقيقة بين مبادئنا لنلنـا كل ما نطلبه من دستور ومجلس نيابى ومراقبة فعلية على مصروفات الحكومة ولحصلنا على جلاء الانجليز من بلادنا العزيزة ..

وفى مؤتمر بروكسل - سبتمبر عام ١٩١٠ - قال محمد فريد :

- ان برنامج الحركة الوطنيـــة يجتمع فى كلمتين : الجلاء ، والدستور .. وأن تترك مصر لنفسها لتكون أمة على الحياد تحترم كل الدول حيادها

وفى الجمعية السنوية للحزب الوطنى التى انعقدت بتاريخ ٢٢ مارس عام ١٩١٢ - آخر اجتمــاع حضره محمد فريد فى مصر - قال فيه :

« تشارك الجمعية العمومية فى الطلبات الخاصـــة بالدستور مقدما باسم أعضائه وانصاره ، والخمســة

والستين الف مصرى ومصرية الموقعين على عرائض طلب الدستور ، والامل وطيد فى أن الجمعية العمومية ستبرهن على استقلالها وعلى ادراك أعضائها وظيفتهم الجديدة »

وفى الاجتماعات التى عقدها محمد فريد بجمعيات الشباب المصرى فى الخارج ومن بينها اجتماع ٢١ فبراير عام ١٩١٣ ، قال محمد فريد :

« نحن لانطلب من انجلترا دستورا ولا اصلاحا ولا نطلب ذلك الا من الخديو المسئول أمام الامة ، أما انجلترا فلا نطلب منها الا الجلاء » .. وقد رأى محمد فريد ان الخديو قد انضم الى الانجليز .. فلا يمكن ان يرجى من ورائه خير .. أى خير . ولهذا فقد بادر بمعارضته كما بادر بكشفه أمام الرأى العام فى مصر منذ ان آلت اليه قيادة الحركة الوطنية .

يقول أحمد شفيق :

فى يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٠٨ وردت رسالة للخديو بامضاء أحد رجال جمعية الانتقام المصرى ، جاء فيها :

« يا أيهاالامير ان المفرقعات الجهنمية التى تنسف الارض قد أعدت لتنسفك بعربتك وخيولها ومن يكون معك فيها أثناء مرورك رغم أنف جواسيسك وحرسك فاعزل بطرس رئيس المحكمة الخصوصية واحذر حيث لايغنىالحذر .. والمدة خمسة عشر يوما من تاريخه »

ويقول احمد شفيق باشا فى مذكراته :

« كان رأى الخديو ان محرر هذا الخطاب هو أحد رجال الحزب الوطنى من أتباع محمد فريد »

وفى ١٢ مارس عام ١٩٠٩ حضر الى السراى على بك ابو الفتوح الذى عين مديرا لجرجا ليشكر الخديو على

هذا التعيين وكان قد بلغ سـموه ان الحزب الوطنى يسعى لضم الموظفين الى جانبه وخاصة رجال الادارة ليكونوا عضدا له وسندا وان على بك ضمن المنتمين لهذا الحزب ، ولما قابل سموه قال له :

ــ يا على بك أنا وطنى واحب وطنى وكل المصريين يحبون وطنهم ولـكنى لا أود ان اكون عضوا فى الحزب واظن ان الافضل الا تكون انت ايضا كذلك .. فتبرأ المدير مما نسب آليه

وتحت عنوان « اشـتداد روح المعارضـة » كتب احمد شفيق باشا يقول :

ــ كان مقتل المرحوم بطرس غالى باشا فى العام الماضى مظهرا من مظاهر التطرف والتهور فى المعارضة التى لم يجد فى اسكاتها بعث قانون المطبـوعات القـديم الذى ابطل العمل به أيام اللورد كرومر . فاشتدت الحملات الصحفية على الحكومة ولا سـيما فى صحف الحزب الوطنى وكذلك صـدر كتاب « وطنيتى » للشيخ على الغاياتى حاويا الـكثير من الحض على الثورة وتمجيد اعمال المجرمين السياسيين .

ولما كان محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى قد كتب مقدمة لهذا الديوان فقـد قـدم للمحاكمة بتهمة تحسـين جـريمتى الوردانى ودنجرا الهنـدى اللذين اطراهما صاحب الديوان فى بعض مقطوعاته .

ولـكن هذا الحكم لم يزد اعمال التهييج الا شـدة ولما قضى فريد بك مدة الحبس وخرج ، أقام له أعضاء الحزب الوطنى حفلة تكريم بفندق الـكونتيننتال بالرغم من ان هذا التكريم نفسه يحرمه القانون لانه استحسان لجريمة ..

وبعـد حـادثة مقتـل بطرس غالى تندفع الحركة الوطنية الى الامام بكل قوتهـا كما تنـدفع سـلطات الاحتلال فى محاربتها بكل قوة أيضا .. يشتد الخلاف بين محمد فريد والخديو ويتهم الخديو الحزب الوطنى بأنه متسرع فى طلب الدستور والجلاء .. ويرد محمد فريد عليـه بكل قوة وعنف فتصـدر الحكومة قانونا باحالة تهم الصحافة الى محاكم الجنايات بعد أن كانت من اختصاص محاكم الجنح .

ويرد محمـد فريد فى جريدة « الطان » الفرنسية تحت عنوان « سياسة الشدة » قائلا :

« نحن نقول بصراحة كما قال المرحوم مصطفى كامل باشا عقب حديث المستر ديسى ان الامة غير مرتبطـة بما يقوله الامير بخصوص التشريعات الرجعية وتحالف الخديو والوزارة من ناحية والاحتلال من ناحية أخرى على الحركة الوطنية ـ فى مثل هذا الموضوع الخطير ـ وان بطانة سموه ووزرائه يسيئان اليه اكبر اساءة فى عدم الاشارة عليه بتصحيحه اذ ان مثل هذا التصريح لايمكن أن يروق فى نظر الشعب » .

وفى ١٩ يناير عام ١٩١٢ اقيمت حفلة لرعاية الاطفال بدار الاوبرا تحت رعاية سمو الخديو وحضرها مندوب من قبل سموه وقد حدث عند دخول المندوب وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى أن وقف الجميـع حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى مما لفت انظار الحاضرين جميعا ..

ولما كانت هذه هى الحالة الاولى من نوعها تناقلتها الالسن والصحف وكانت لها ضجة فى داخل السراى

وقد خاطب حسين رشدى باشا محمد فريد بك فى

هذا الشأن فأجابه بانه ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف ..

ومن « صرباربغاز » كتب محمد بك فى ١١ يونيــة عام ١٩١٢ الى خديو مصر يقول :

ــ لقد علمت من الاخبار الخاصة الواردة من مصر انكم كلفتم أحد اخوانى ممن يترددون عليكم بأن ينصحنى بالسفر عقب استجوابى بالنيابة واسم هــذا الشخص معروف عندى ولــكنى اكتمه الان فاستغربت جــدا حدوث هذا الامر بعد ما كتبته لــكم بخصوص العلايلى ومبلغ ٣٠٠ جنيه التى أخذها باسمى وطلبت منكم عمل تحقيق بهذا الخصوص ، ولــكنكم أهملتم الامر ، وبعد أن اخبرتكم انى اترفع عن قبول أى مساعدة منكم ولو كنت فى أخطر درجات الفقر ــ مع انى والحمد لله فى سعة من العيش . فلتكونوا على حذر من ان ما يؤخذ منكم باسمى هو من باب النصب وانى لا اقبــل ولن أقبل أى مساعدة ما دامت مهمتى الجهاد فى سبيل تحرير الوطن من الاستعمار ومن كل من يعاون الاستعمار على توطيد قدمه كائنا من كان ..

والسلام على من اتبع الهدى

المخلص لمصر ــ محمد فريد

ولم يكتف الخديو ، ومن ورائه وأمامه ، الاحتــلال بملاحقة محمد فريد فى المنفى ، فقد تتبع محمد فريد حتى فى مقالاته .. فلم تكد جريدة « العلم » تنشر رأيا لمحمد فريد فى الحرب البلقانية وما أصاب تركيا من هزائم بسبب كامل باشا الصــــــدر الاعظم الموالى للانجليز حتى بادرت حــكومة الخــــديو ــ والانجليز بالطبع ــ فى ٧ نوفمبر عام ١٩١٣ فقررت تعطيل جريدة

« العلم » نهائيا لان الجريدة اعتادت نشر ما يكدر صفو الراحة العامة وانها لسان حال حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التهييج ..

ورغم تلك الحرب العنيفة لم يشأ محمد فريد أن يذيع ما لديه من معلومات عن مؤامرات الخديو ضد اللورد كرومر عندما اختلف واياه بل آثر كتمانها وقال محمد فريد فى رسالة خاصة للخديو عباس حلمى « رغما عن السعى المتواصل ضدى وضد الحزب الوطنى والتأثير على ضعاف العزيمة وأصحاب المطامع لايجاد الفشل فى لجنة حزبنا أو لفصلى من الرياسة فانى لم أزل محافظا على سركم على أى حال حتى الممات » ان محمد فريد لم يكن يحارب الخديو كفرد وانما كان يحاربه كممثل لنوع من الحكم الفاسد الذى يجب القضاء عليه .

وللحقيقة وللتاريخ نقول ان احدا – فى مجال السياسة أو الصحافة – لم يكن قد تجرأ على الهجوم على الاسرة التى كانت تحكم مصر ، بكل قوة ، وعنف ، كما حدث أثناء قيادة محمد فريد للحركة الوطنية . ونظرة سريعة الى ما كان يكتبه احمد حلمى المحرر الاول بجريدة « اللواء » وصاحب جريدة « القطر المصرى » عن الاسرة المالكة ترينا الى أى مدى كانت الاسرة الحاكمة تهاجم بقسوة وعنف

كتب احمد حلمى مرة مقالا بعنوان « مدام وارنوك » عشيقة الخديو عباس حلمى الثانى قال فيه :

« قد زاد الامر تعقيدا ما آلت اليه حالة مدام وارنوك من اليسر والرخاء فى فترة قريبة من الزمن ، بعد ذلك العسر والشقاء اذ مهما كانت صناعة طب

الاســنان رائجة فانها لا تعود على المحترف بها بمثل هذا اليسر ولقد جعلوا العلاقة بين حادث المنتزه ورواج هذه السيدة انها فى احدى العمارات الخديوية الخاصة وتطبيق كثير من صــفات هــذه السيدة على أمثــال السيدات اللواتى ظهر عليهن الثراء فى عهد اسماعيل »

وجاء فى أحد المقالات التى نشرتها جريدة « القطر المصرى » عن جريدة « العدل » التى تصدر فى الاستانة فى ٨ يناير عام ١٩٠٩ والتى سجن بسببها أحمد حلمى عشرة شهور وتعطلت الجريدة ستة شهور : فاذا عرف المصرى مما تقدم أن شقاءه وبلاءه كان السبب فيها عائلة محمد على يجب عليه وينبغى له أن يتخلص منها .

بأى حق مشروع تأخذ عائلة محمد على من الخزينة المصرية مبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ الف ليرة كل عام ، وأى شر دفعوه عن الوطن أم أى خير جلبوه له حتى يكال لهم المال جزافا .. فقد قربوا كل متشرد لا يعرف أحـد مسقط رأسه ولا ملقط جسمــه وعينوهم بالوظــائف واستعانوا بهم على بقاء المصرى فى حالات الجهل وسلبوا الضياع التى دفعها أهل الخير وانفقوها على شهواتهم

ان طائفة من عبــاد الســــلطة المطلقة يكذبون على التاريخ ويدعون فى وقاحة ان العائلة المحمدية العلوية خدمت مصر ..

فوالله لو كانت البحــار تنطق والســـجون تتكلم لنطق البحر الابيض بما يسود الوجوه ، وتكلم ســجن الطوبخانة الذى مازال باقيا عن الالاف التى خنقت فيه

يا أيها المصرى واصل سواد ليلك ببياض نهــارك فى الخلاص من الظلم .. وابذل أموالك وحياتك فى ان تكون حرا مستقلا يحكمك مصرى .

ومن آراء محمد فريد ، كمــا كتب فى مقــال له فى ذكرى ١١ يونية عام ١٨٨٢ :

ـ ان من اقدس واجبات الامم التعسة المصابة فى حريتها أن تحيى ذكرى مصائبها لتدب الحماســـــة الى قلوب أبنائها وتشبع بالوطنية نفوســـــهم حتى اذا ما ساعدت الظروف هبت كرجل واحد لاسترداد ما سلب منها بجناية بعض أبنائها

ومن رأى محمد فريد ـ كما قال فى مؤتمر بروكسل عام ١٩١٠ :

ـ ان حق الامم فى أن تحكم نفســـها بنفســـها حق طبيعى يستمد وجوده من النظرة الانسانية وان نواب الامة هم وحدهم القادرون على تقدير حاجات مواطنيهم ومطالبهم ووضع القوانين الصالحة لهم الموافقة لعاداتهم وأخلاقهم . اما فى بلادنا حيث لا دستور ولا رقابة على الحكام .. فالمستشارونالانجليز هم الوزراء الحقيقيون الذين يديرون شئون البلاد بمحض ارادتهم .

ويضع محمد فريد الدواء لــكل ما كانت تعانيــه البلاد فى أيامه من كل العلل فيقول :

ـ الدواء الوحيد هو الدستور الذى يسمح لنا بأن ندير أمورنا بما ينطبق ومصالحنا .

ويضع محمد فريد دســتورا للمكافحين الوطنيــين يتمثل فى قوله :

« اننا نعــرف كيف نصبر على المكاره ، ولــكننا لا نعرف التسليم لاعدائنا ولا التنازل من مطالبنا »

وكتب محمد فريد فى مقدمة كتاب « تاريخ الدولة العلية العثمانية » يقول :

ـ العالم اجيال متعاقبة ، يخلف اللاحق فيها السابق ويرث معارفه صحيحها وفاسدها وأخلاقه حسنها وقبيحها وأعماله تامها وناقصها ، ويضيف الى ذلك معلوماته الخاصة وتجاربه الذاتية فيكون بذلك مدنيته العصرية ، فاذا قام الخلف الشاب بالواجب عليه لمصره واتخذ له من تجارب السلف الشيخ مصباحا انفسح أمامه الامل فيرقى فيدرجات المدنية بمقدار ماصرنه من العناء في العمل وما احرزه من معارف السابقين . لذلك وجب ان تكون الاحداث الماضية واعمال السابقين فى العصور الخالية قدوة للمتأخرين في سياستهم وعونا لهم على اعمالهم وانى لهم الاهتداء اذا كانوا لا يعلمون أخبار آبائهم الاولين » ومضى محمد فريد فى مقدمة كتابه ، أو خطبة كتابه ، كما كانوا يسمونها وقتئذ يقول :

« مضى على الشرق أجيالا طوال راى فيها اهلوه من أهوال الاحوال ما يشيب له الاطفال وتندك من وقعه عزائم الرجال بل شوامخ الجبال وما كان ذلك الا بعد أن انفرط عقد بنيه وتناثر نظام أهله ، وتشاغل كل بنفسه عن أخيه وذويه فأغار الدهر بخيله ورجله على الشرق ودوله وقلب المجن على الاحن والمحن ، فتناسوا ما كان لهم من فخامة الاقتدار وجلالة الحضارة وضخامة العمران واصالة الامارة وانغمسوا في بحار الكسل والخمول ذاهلين واستكانوا الى المذلة والهوان ، حتىباتوا صاغرين وأوشكوا أنيقضعليهم بالدمار والاندثار ويكونوا عبرة لاولى البصائر والابصار »

وقال محمد فريد :

« لقد دفعتنى دواعى الضمير الى العناية بأحداث هذه الدولة والوقوف على أحوالها ، فلما أحطت علما

بما يجب على كل شرقى معرفته من تاريخها حدثتنى نفسى بوجوب تدوين هـذا التاريخ ونشره بين أبنـاء الوطن وأبناء الملة فشمرت عن ساعد الجد وبذلت غاية الجهد ..

ويقول محمد فريد :

« ان حرية الشعوب لا تنتقل ولا تفقد بمضى المـدة ولا تستطيع الدول أن تتصرف فيها بمعاهدات ، كما تتصرف فى السلع .. وانى أقرر ان اية أمة لا تستطيع أن تتصرف فى نفسها ولا فى وطنها تصرفا يضر بحقوقها ولا تستطيع انجلترا أن تتمسك باية معاهدة أو عقد أو وثيقة سياسية وعلى فرض وجودها فلا يمكن التمسك بها قبلنا »

وكان محمد فريد دائم الوفاء لاصدقائه حتى ولو اختلف معهم فى الرأى الا أن يكون هـذا الخلاف عنيفا وضارا بالصالح العام ..

وكتب محمد فريد فى مذكراته تحت عنوان «وفاة أحمد عبد الرازق » يقول :

ـ قرات فى جرائد مصر خبر وفاة احمـد بك عبد الرازق الذى كان قاضيا بالمحاكم الاهلية وهو من أقدم اصدقائى حيث كنا معا مدة الدراسة بمدرسة الحقوق وظلت صداقتنا على متانتها ولم تؤثر فيها اختـلافاتنا

فى السياسة فهو كان من الرأى القـائل بالاتفـاق مع الانجليز وبعدم الطعن على الخديو ، وكان يميل الى التقرب من الحكام كل ذلك بحسن نيته مع حبه للوطن

وقد خدمنى فى حادث الوردانى ـ قتل بطرس باشا ـ فانه هو الذى طلب منه الامر بتفتيش منزلى ، ففعل قياما بالواجب ، ولـكن احـدى السـيدات اخبرت

أختى منتهى هانم لقرب منزلها من منزله بالعباسية وقد أتت فى الحال الى منزلى بشبرا وعلمت بما ينوى عليه البوليس ، لكنى كنت اخذت حذرى من قبل وأعدمت كل الاوراق التى كان يمكن اتخاذها سبيلا للاضرار ببعض أصدقائنا

وعندما سافر محمد فريد الى لندن ألقى هناك خطابا جامعا - فى ٢٩ يونية عام ١٩١٠ - قال فيه :

« يسرنى أن أتكلم هنا لانى اشعر بأنى حر فى الكلام أكثر من حريتى فى بلادى التى تحكمها عصابة من المستعمرين الانجليز الذين يضرون انجلترا وهم يظنون انهم يحترمونها »

« اننا لايمكننا أن نقر الاحتلال الانجليزى ، بل انا لنعتبره ظلما لا يستند الا الى القوة التى لا تخول حقا . ان أمتكم تستطيع مدفوعة بيد الاستعماريين الماليين أن تعلن حمايتها على مصر وأن تضمها الى املاكها ولكن لا يمكنها ان تجعل مركزها فى مصر شرعيا ، والحماية والضم ذاته لايسقطان حقوقنا »

وكان محمد فريد يرفض دائما الحكم ، طلب منه محمد سعيد باشا عام ١٩١٠ أن يشترك فى وزارته فقال له :

« كيف تطلب منى ان اشترك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال وانا احارب الاحتلال .. وكيف يتفق النقيضان »

أوفدت لندن اليه رسولا ليعرض عليه احدى الوزارات وقال له الرسول :

« كلفت بحمل هذه الرسالة لعلمى بحرج مركزك المالى ولندن مستعدة لاداء كل ما يلزم لتسوية هذا المركز »

فرفض محمد فريد العرض قائلا بشدة :

« ان ضياع ثروتي لا يؤثر على مبـــادئى وانى أرفض اى مركز فى الحكومة مادام الانجليز فى مصر »

وعرضت عليه حكومة تركيا ـ وهو فى المنفى ـ بعض المناصب الهامة ومن بينها منصب عميد كلية الحقوق بالاستانة فاعتذر حتى يحتفظ باستقلاله فى جهاده ..

وكان لوالد محمد فريد ألف ومائتـــا فدان ، وكان لمحمد فريد قصر فى شارع شبرا مساحته ٥ أفدنة من اراضى البناء التى ارتفعت قيمتها كثيرا وكان له عمـــارتان بشارع الظاهر و .. و .. وقد انفق محمد فريد كل ذلك على الحركة الوطنية . وقد ذكر لنا بعض معاصريه الذين اشتركوا فى مؤتمر بروكســـل عام ١٩١٠ ، ما فعله محمد فريد عندما منعت الحكومة الفرنسية عقد المؤتمر الوطنى ـ وكانت الدعوة قد وجهت من قبـل لعقد هذا المؤتمر فى باريس ـ وذلك اكراما للحكومة الانجليزية وكيف ســـارع محمـد فريد بنقل المؤتمر الى بروكسل وكيف اســـتاجر ـ من ماله الخاص ـ قطارا خاصا من باريس الى بروكســـل يحمـل كل المدعوين الى المؤتمر . ويذكر هؤلاء المعاصرون أيضا ـ كما يذكر هو فى مذكراته ـ كيف كان يتنقل فى اوربا اياما طويلة فى الدرجة الثالثة .. كتب يقول :

ـ سافرت الى استوكهلم ـ فى الدرجة الثالثة ـ وهى أول رحلة لى فى هذه الدرجة بسبب قلة النقـد حيث اقمت هناك ١٢ يوما ، ثم عدت فى الدرجة الثالثة الى انفرس ببلجيكا حيث لى فيها أصدقاء من أعضـاء مؤتمر السلام . والذين سافروامن مدينة الى مدينة فى أوربا ـ فى فصل الشتاء ـ بالقطار هم وحدهم الذين

يعرفون كيف تكون القسوة فى السفر بالقطار لايام عديدة فى الدرجة الثالثة وكيف انها غير محتملة بالنسبة للشباب فما بالك برجل كمحمدفريد كان يشكو من بضعة أمراض فى وقت واحد ..

وكتب محمد فريد الى عبد اللطيف الصوفانى ، بخصوص تدبير المال اللازم للاستمرار فى نشر المجلة الصغيرة التى كان يصدرها محمد فريد فى أوربا ولكن بلا نظام كتب يقول : « لاستمرار حركة النشر بانتظام يلزم مبلغ لا يقل عن ألف فرنك شهريا بخلاف ما يلزم لمصروفى الشخصى وأنتم تعلمون أن حالة عائلتى أصبحت لا تسمح بمساعدتى ·· ولا يغيب عنفكركم ارتفاع نفقات المعيشة بأوربا حتى فى سويسرا أصبحت جنيف أشد مما كانت عليه قبل الحرب فى ارتفاع الاسعار ·· ومع ذلك فبالنسبة لاقتصادى المعروف ارى ألف جنيه أوثمانمائة جنيه علىالاقل سنويا تكفينى لنفسى ولاعمالى حيث يحسن جمعها وارسالها لى فى موسم القطن ، اى فى بحر هذا الشهر لان حالتى المالية أصبحت سيئة جدا بسبب مرضى وكثرة انتقالى من بلد الى آخر تبعا لاشارة الاطباء

لذلك أكرر طلب ارسال عشرين ألف فرنك فورا او على الاقل نصف هذا المبلغ تلغرافيا بمجرد وصول هذا اليكم لادفع ما على من الديون وهى تزيد على خمسة الاف فرنك الان وتزيد يوميا

وقد كان محمد فريد يعتمد اعتمادا كبيرا فى الحركة الوطنية التى كان يقودها على الرأى العام العالمى وخاصة المؤتمرات وكان فى مقدمة هذه المؤتمرات مؤتمر بروكسل .

وكان وفد مصر الى المؤتمر الوطنى الذى اعتـــذرت الحـــكومة الفرنسية من عقده مجاملة لبريطانيا قد تم عقده فى بروكسل .. وكان هذا الوفد مكونا من على فهمى كامل وعبد الله طلعت ومحمود فهمى حسـين وحسن عمار وأحمـد حسنى ومصـطفى الشـوربجى وحسين طنطاوى وعبد الحميد منير والشيخ محمـد عبد الغفار عمار وعلى حسين ومحمد أبوالمجد ومحجوب ثابت ومصطفى الشوربجى وأمين الرافعى وفؤاد حسيب وابحر الوفد من مصر فى ١٥ يوليو عام ١٩١٠ ، وقد اقيمت الحفلة الاولى فى فندق اليزا بالاس لاصدقاء مصر من الاوربيين .. وافتتح محمد فريد المؤتمر بين التصفيق الحاد من اعضاء المجالس النيابية والبلجيكية والالمانية والانجليزية والفرنسية .. وقد شرح محمد فريد المسألة المصرية ومركز الاحتلال البريطانى - غير الشرعى - وقد اقام محمـد فريد حفـلة لاستقبـال كيرهاردى رئيس حزب العمال البريطانى وقد اشتركت فى هذا المؤتمر انشراح شوقى التى عبرت عن عواطف السيدات والفتيات المصريات نحو وطنهـن واهتمامهن بشئون بلادهن وقيامهن بتربية الابناء تربيـة وطنيـة صحيحة ..

وفى الجلسة الرابعة التى كانت برياسة المسترهاوثان عضـــو فى مجلس نواب المانيـــا تلى البحث الذى اعده عبـد الرحمـن الرافعى عن الصـحافة فى مصر وتاثيرها فى الحركة الوطنية وقد بعث كرشنانيريـا - الزعيم الهندى صاحب جريدة « انديان سوسياليست » بخطاب تحـدث فيـه عن الحـركة الوطنيـة المصرية وقد مجد فى بحثه ابراهيم الوردانى واطراه ولم يكن ذلك غريبا على كرشنانيريا فهو صاحب مبدأ القتل السياسى !

وقد نشرت جريدة « التيمس » نص خطاب كرشنا غير ان محمد فريد صرح بأن المؤتمر لم يقبل القاء الخطاب ، كما لم يقبل ادراجه ضمن موضوعات المؤتمر

وقال محمد فريد :

« ان المؤتمر لايمكنه قبول اى خطاب أو تلغراف يتضمن أفكارا أو آراء تخالف مبادىء الحزب الوطنى » وقد وافق المؤتمر على ما صرح به محمد فريد رئيس الحزب الوطنى وكانت جريدة « التيمس » البريطانية قد استهدفت من نشر خطاب كرشنا قبل القائه استدراج المؤتمر الى تأييد القتل السياسى .. غير ان محمد فريد قد فوت على المحتلين مؤامرتهم . وكانت الجلسة الخامسة برياسة المسيو رواتيه نائب باريس فى البرلمان الفرنسى الذى انتقد حكومة فرنسا لانها منعت انعقاد المؤتمر الوطنى المصرى بباريس وأعلن انه يستجوب الحكومة الفرنسية عن اسباب منع المؤتمر

والجدير بالذكر ان كيرهاردى قد أعلن - فى هذا المؤتمر « ان احتلال الانجليز لمصر غير شرعى ، وعلى الامة المصرية الا تثق بوعود انجلترا . فالامة التى تريد ان تستقل يجب ان تعتمد على نفسها وعلى مجهوداتها الذاتية »

وقد تحدث محمد فريد عن برنامج مصر الوطنى ولخصه فى كلمتين : الجلاء ، والدستور .. وقال :

« ان الصالح الدولى للعالم اجمع الا تكون مصر محتلة بأية دولة اجنبية وان تترك لنفسها حتى تكون أمة على الحياد تحترم كل الدول حيادها »

وقد تكلمت ايضا فى هذا المؤتمر الزعيمة الهندية

مدام كاما التى عبرت عن دور المراة المصرية فى المعركة ونصحت المصريين بعدم الزواج من الاجنبيات وقالت :

« اذا كانت انجلترا تعتقد أن لها مدنية عظيمة تسوغ لها السيطرة على غيرها من الامم فلتعلم ان مصر والهند لهما مدنية أعظم شأنا واكبر اثرا »

وقد قام محمد فريد بعد انتهاء المؤتمر بجولة فى اوربا داعيا للقضية المصرية .. وعاد الى مصر فى ديسمبر عام ١٩١٠ ، فاستقبل استقبالا شعبيا رائعا فى الاسكندرية والقاهرة .. وقد شكر محمد فريد الشعب المصرى على احتفاله بعودته الى الوطن قائلا :

« لقد كنت أرجو الا يعنى مصرى بمقابلتى والاحتفاء بعودتى لانى لم افعل شيئا غير مايجب على كل وطنى »

وقال : « ما انا الا احد خدام الامة الذين يدينون لبلادهم بحياتهم وليست هذه الحياة الا وقفا على الوطن العزيز .. فاذا وهبته اياها وضحيت فى سبيل اسعاده لا اكون قد قمت الا بالواجب المفروض على كل مصرى منا ».

وقال : « انى لن أنسى ابد الدهر تلك المظاهرات الجليلة التى قام بها الشعب المصرى ، وأنى لا أعتبرها موجهة الى شخصى فقط .. وانما هى آية من آيات وطنية الشعب الصادقة الدالة على حياته ورقى شعوره الناطقة بوجوده وجهاده »

وكان محمد فريد يمتاز ببعد نظر سياسى وبجرأة وصرامة وثقة ووضوح رؤية قلما وجدت فى الزعماء الذين كانوا يسيطرون على الامور فى كثير من البلاد حينذاك .. فقد حارب الانجليز والخديو ولم يعبأ بما لهما من نفوذ ..

وعندما نشرت جريدة « جون ترك » التى تصدر بالفرنسية ـ فى الاستانة ـ ان محمد فريد كتب من سجنه الى لورد جراى وزير الخارجية البريطانية يشكو اليه من الاضطهاد الذى وقع عليه كتب يقول :

« اني لو حكم علي بالموت وكانت حياتي معلقة على كلمة تخرج من فم وزير انجليزى لفضلت الف ميتة على مخاطبة هذا الوزير فى شأنى »

وقال امين الرافعى معقبا على هذا فى مقال له :

« ان محمد فريد بك ليتقدم الى المشنقة رابط الجأش صادق العزم مؤثرا ذلك على الاستعانة بغاصب البلاد »

وكان محمد فريد يقاوم منح الالقاب ، بل ويدعو الى الغائها .. ففى ٢٦ ديسمبر عام ١٩١٠ كتب يقول :

« انه لايليق بالعقلاء السعى وراء الالقاب والاوسمه الذهبية أو المرصعة تالله انها زخارف لفظية تعلم الامة ما تحتها من حب للوظائف وحرص على المرتبات »

وهناك جوانب كثيرة متعددة فى شخصية محمد فريد لكى نستطيع ايفاءها حقها يجب ان نكتب عنها مجلدات ومجلدات ، وحسبنا هنا الاستعانة ببعض آراء لها أهميتها البالغة فى هذا البحث ..

قال الاستاذ احمد بهاء الدين :

ـ كان محمد فريد من الذين أدركوا ادراكا علميا عميقا حقيقة المسألة المصرية بعد الاحتلال الانجليزى فعرفوا الطريق ـ أسلم طريق ـ الى تحقيق المستقبل المصرى ، انبعث مصطفى كامل كالشعلة توقظ الوقود وتنير الطريق ثم انطفأ ولم يقف فى هذا الومض طويلا

عند فكرة خصـــبة ، وجاء محمـــد فريد ليضع النقط على الحروف التائهة وليرسم للشعب المرتقب وســـائله وغاياته . واعلن محمد فريد ان مطالب مصر للتحرر من كل سيطرة أجنبية هي الجلاء ، والدستور .. لا نرضي بأحدهما بديلا عن الاخر ولا تلهينا المطالبة بأيهما عن الثانى .. هما سويا معا لغـاية واحـدة فى طريق واحد .. ثم اتجه الى الزحف السياسى داعيا الوزراء الى مقاطعــة الحكم .. وعرفت مصر ـ لاول مرة ـ المظاهرات الشعبية المنظمة التى كان فريد يدعو اليها وتجتمع فى حديقة الجزيرة عشرات الالاف ثم تسير الى قلب القاهرة معلنة عن مطالبها مشتبكة بالبوليس .. مضحية بالعشرات منها ..

ووضع صيغة موحدة للمطالبة بالدستور وطبع منها عشرات الالاف ودعا الشعب الى توقيعهـا وارســالها الى الخديو كى تكون حركة جماعية تطـالب بانشـاء مجلس نيـابى .. ونجحت الحمـلة وذهب فريد الى القصر وسلم أول دفعة من التوقيعات التى بلغ عددها ٤٥٠٠ توقيع .. ثم الدفعة الثانية التى بلغ توقيعهـــا ١٦٫٠٠٠ توقيع . وفى الشوارع سارت المظاهرات تنادى بالدستور لاول مرة

ويقول الاستاذ احمـد بهاء الدين فى مكان آخر من كتابه « أيام لها تاريخ » :

ـ وهكذا كان يطـارد فريد لانه ينـادى بالجـلاء والدستور وبرسالة نبيلة للفن الجميل ، ويحرم لهذا السبب من الحياة فى وطنه ، بينما يترك وطنه مرتعا للمحتلين »

وتاريخ محمـد فريد ـ كمـا يقول عبـد الرحمن

الرافعي ــ ولا غرو ، تاريخ لسنى الجهاد ، من فجر الحركة الوطنية الحديثة .. فقد شارك مصطفى كامل في بعثها منذ عام ١٨٩٣ وتولى قيـــادتها بعد وفاته في فبراير عام ١٩٠٨ الى ان لحق بالرفيق الاعلى في نوفمبر عام ١٩١٩ ، فكانت هذه الاعوام الاخيرة صفحات مجيدة من تاريخنا القومى ولولا ما خطه فيهـــا من تضحيات وآلام وما بعثه فى نفوس الجيل من اخلاص وشجاعة وثبـــات وايمـــــان ، لما كان لمصر تاريخ وطنى فى ذلك العهـــد ولانقلب هـــذا التاريخ سلســـلة من خضـــوع للاحتلال وضعف فى الاخلاق .. فهذه الحقبة من الزمن التى غذاها الفقيد بوطنيته واخلاصه وبذل فيها ما بذل من ماله وقلمه ولسانه ورواها بروحه ومهجـــة فؤاده هى ولا ريب معين لا ينضب من الفضائل القومية (١) »

واشار المسيو لاســـــان وزير البحرية الفرنســـية فى جريدة « السييكل » الى حركة الحزب الوطنى واتساع نطـــاق نشـــــاطه حتى صــــارت له لجان فى القـــرى البعيدة عن القاهرة والاسكندرية واصبح جميع الشعب يتأثر به ويعمل برغباته وما كان احـــد يظن ان هـــذه الافكار تجد فى تلك الجهات ارضا خصبة تثمر فيهـــا

وتابع محمد فريد زعامة الحركة الوطنية اثر موت مصطفى كامل وكان قد وجهها الى مزيد من الشعبية تقطع تماما ما بين الحركة الوطنية ورأس الاقطاع فى مصر الخديو . ولم يعد الحزب الوطنى يكتفى بقيادة محمد فريد بالحملة الصحفية من اجل الدستور وانما اخـــذ يجمع التوقيعات بطلب مجلس نيابى ..

---

(١) « ايام لها تاريخ » : احمد بهاء الدين

وكان أن جمع أكثر من ٦١ ألف توقيع رفعهـــا الى الخديو عباس حتى لينعكس الامر فى مجلس شـورى القوانين ـ مجلس الاعيان والذوات ـ وكان لهذا أثره فى الشعب فقد بدأت التحركات الشعبية »

« وأدرك محمد فريد قيمة العمل بين صفوف القوتين الرئيسيتين للحركة الوطنية : العمال والفـلاحين • وقد ربط محمد فريد الحركة الوطنية المصرية بحركة السلام العالمية فدعا فى عام ١٩١١ الى تأسيس جمعية السلام فى وادى النيل تكون لها علاقة رسمية بمكتب السلام الدائم فى اوربا .. وكان محمد فريد أول من قال : ان الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمى ، وان مصلحة السلام العالمى أن تنال مصر اسـتقلالها وتنال حكومة ديمقراطية ..

كما ربط محمد فريد قضية استقلال مصر بقضيــة الاشتراكية الدولية فلم يترك وهو فى منفــاه فى اوربا مؤتمرا دوليا اشتراكيا الا وقدم له مذكرة بمطالب مصر مثل مؤتمر بروكسل عام ١٩١١ ، ومؤتمر برن فى فبراير عام ١٩١٩ ، ومؤتمر لوسرن فى اغسطس عام ١٩١٩ ، وقد استطاع فى مؤتمر بروكسل أن يفوز بالقرار الاتى :

« يظهر المؤتمر تأييده للامة المصرية ويرى ان مبادىء الحق والعدالة وذلك لمصلحة التجارة الدوليــة تقضى باستقلال مصر وحريتها وان تكون مصر محكومة بحكومة أهلية دستورية .. لقــد أحس محمد فريد فى وقت مبكر بأن قضيــة مصر الوطنيــة هى جزء من قضيــة الاشتراكية العالمية وكان محمد فريد أول من شـخص القضية المصرية فى دقة علمية فوصفها فى حديث له بأنها

حركة ديمقراطية دستورية (١)

ويقارن نسيب الاختيار فى كتابه « مصر الثورة » بين الحركة الوطنية أيام مصطفى وأيام فريد فيقول أن طابع الحركة فى أيام مصطفى كان النضال فى المجال الخارجي دون اتخاذ نضال ثوري ضد الاستعمار والبيت المالك السائر فى ركابه فى عهد محمد فريد فقد كانت الحركة الوطنية أوفر قوة فى مقاومة الاستعمار والبيت المالك .. فلم يلجأ محمد فريد فى نضال المجال الخارجي الى الدول المستعمرة بل الى المؤتمرات العالمية المناهضة للاستعمار والتى تجلت فى مؤتمرات السلام التى عقدت فى استكهولم وروما وغيرها من العواصم الغربية حيث استطاع محمد فريد فى هذه المؤتمرات أن يوضح القضية المصرية للرأى العام فحسب ، بل ربط بين قضية الاستقلال الوطنى والاستقلال العالمى وبذلك وجد لنفسه الانصار الذين يؤمنون بحرية الشعوب فى تقرير مصيرها وهو الى هذا لم يقف من البيت المالك موقفا ايجابيا ليفصل بين الاستعمار وعملائه فيتحاشى مهاجمة الخديو والاستعمار معا ، وانما ربط بين الجانبين فحارب الخديو فى الوقت الذى حارب فيه الاستعمار على اساس ان الجانبين يعملان عملا موحدا فى سبيل استعمار البلاد واستثمارها وهو اذ خاض هذه المعركة المزدوجة لم ينس ان سبيل التحرر الحقيقى هو تحرير الجماعات وتحرير الفلاحين والعمال .. فدعا الى تطوير حياتهم الاجتماعية تطويرا يتفق والمرحلة التاريخية التى كان يحياها فى ذاك الزمن .. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى لم يشأ محمد فريد أن

(١) تطور الحركة الوطنية المصرية (١٨٨٢ - ١٩٥٦) شهدى عطية الشافعى

يساوم على قضية مصر ولم يشأ الانضمام الى أى من المعسكرين المتحاربين اذ تبين له ان الحرب فى الواقع لا ترمى فى غايتها القصوى الى تحرير الشعوب ، وانما ترمى الى اجراء تقسيم جديد للعالم .. فانطلق محمد فريد فى المحافل الدولية معلنا شعاره «مصر للمصريين»

وقال عنه امين الرافعى :

ـ لقد علمنا محمد فريد أن الحياة الحقيقية لا يعيشها الانسان بين الملذات والسرور ، ولا بالثروة والجاه ، ولابالشهرة والالقاب ، ولابالسيطرة والسلطان وانما هى التى يقوم بها بأكثر الاعمال فائدة لبلاده ، وبأقدس الواجبات الوطنية .. كان يبتسم للعقبات ولا يعبأ بالاضطهادات ، لانه يعتقد ـ كما يعتقد الفلاسفة ـ ان العقبات لا تقف فى سبيل الارادة ، وان الارادة الصارمة تسحق العقبات وتزداد قوة بسحقها وما مثلها الا كمثل النار التى يلقى فوقها بعض الاشياء بقصد اطفائها ولكنها تلتهم هذه الاشياء .. وبفضل ذلك الالتهام تزداد اشتعالا .. ان محمد فريد كان يستعذب الالم لانه ما كان يملك لنفسه حياة ولا موتا .. وانما الذى يملكه هو أن يقف جهوده على أمته » .

لقد كانت شخصية محمد فريد من الشخصيات التاريخية الفذة التى كان لها فضل كبير على مركز النضال العربى واذا كان محمد فريد لم ينل حقه أو بعض حقه فى حياته أو بعد مماته فحسبه فخرا اليوم ان الامة العربية تتطلع الى كفاحه ونضاله بعد مرور ٥٠ عاما على وفاته ، مقدرة كفاحه ونضاله . واننا لنرجو فى كتابنا القادم الذى سيتناول كفاح محمد فريد خارج مصر أن نقدم صورة صادقة لجهاد ذلك الرجل العظيم المؤمن بحق شعبه فى الحرية والتقدم والسلام

فهرس

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

لن نكون مبالغين اذا قلنا ان هذا الكتاب بما احتواه من كنوز علمية وتاريخية خطيرة تكتشف لاول مرة ، يعتبر الاول من نوعه فى هذا المجال ، ولن نكون مبالغين اذا قلنا ان هذه الدراسة الجادة والجديدة بل والجريئة فى اعادة تاريخنا القومى من جديد تعتبر بحق ، عملا تاريخيا هاما .

لقد ظلت يوميات الزعيم الوطنى الكبير محمد فريد ومذكراته السياسية والخطابات السرية ، التى ارسلها الى رفاقه فى النضال والتى ارسلها هؤلاء اليه – وكلها تحوى ادق الاسرار واخطرها – سرا دفينا لم تتح لاحد من قبل فرصة الاطلاع عليها ودراستها بفهم وعمق ووعى الى ان جاء مؤلف هذا الكتاب – وهو من اوفى واصدق تلاميذ محمد فريد واكثرهم احاطة باسرار تاريخنا القومى – فبدأ محاولته الجديدة لاعادة النظر فى تاريخنا

واذ حالت فى الماضى بعض الظروف دون كتابة تاريخنا على حقيقته ، واذ حابى الاقطاع التاريخى بعض الشخصيات وحرم شخصيات اخرى مما تستحق من تمجيد ، فان تلك الظروف وذلك الاقطاع لم يعد لها الان اية قوة ، او نفوذ ، ولهذا فان مؤلف هذا الكتاب وهو يدرس الوثائق التى خلفها محمد فريد لم يكن مقيدا الا بوجهة النظر التاريخية العلمية

يلقى هذا الكتاب بما احتوى من اسرار خاصة بتاريخنا القومى منذ ١٨٩٠ الى ١٩١٩ اضواء جديدة وهامة على خفايا الصراع الذى كان قائما بين الشعب المصرى وبين الاحتلال البريطانى كما يلقى اضواء على الجوانب الخفية داخل القيادة الشعبية الوطنية

١٠ قروش